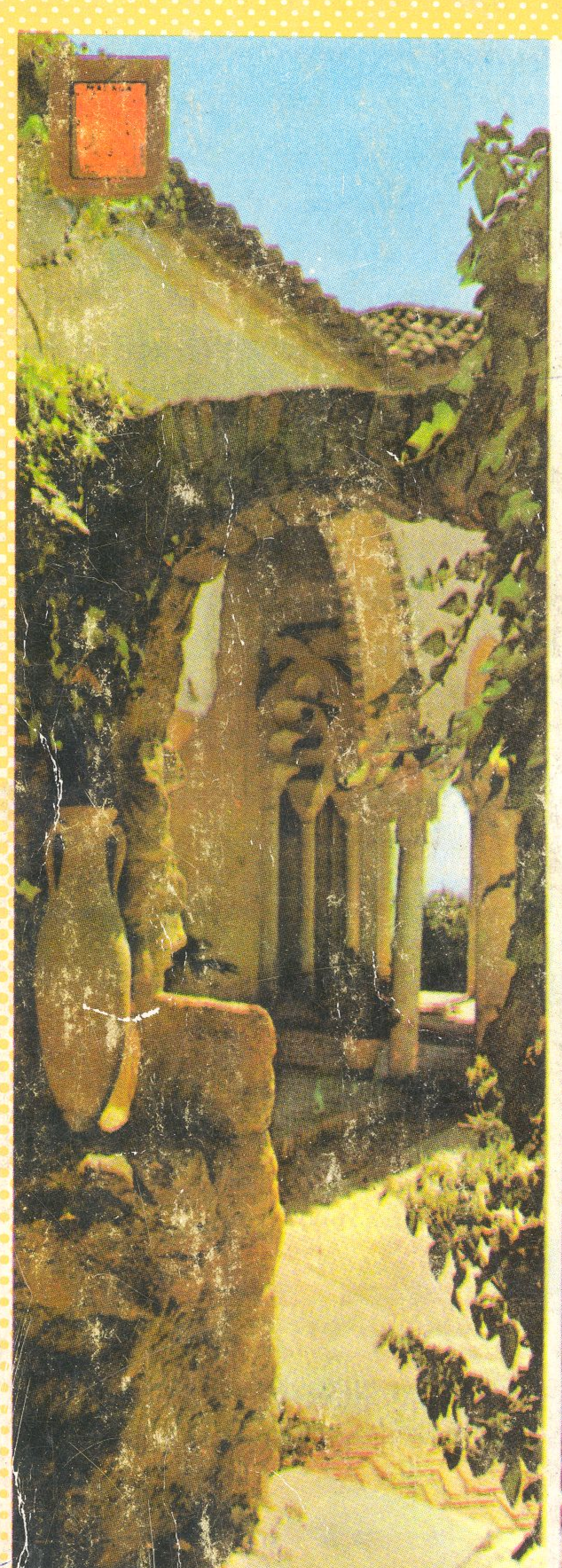
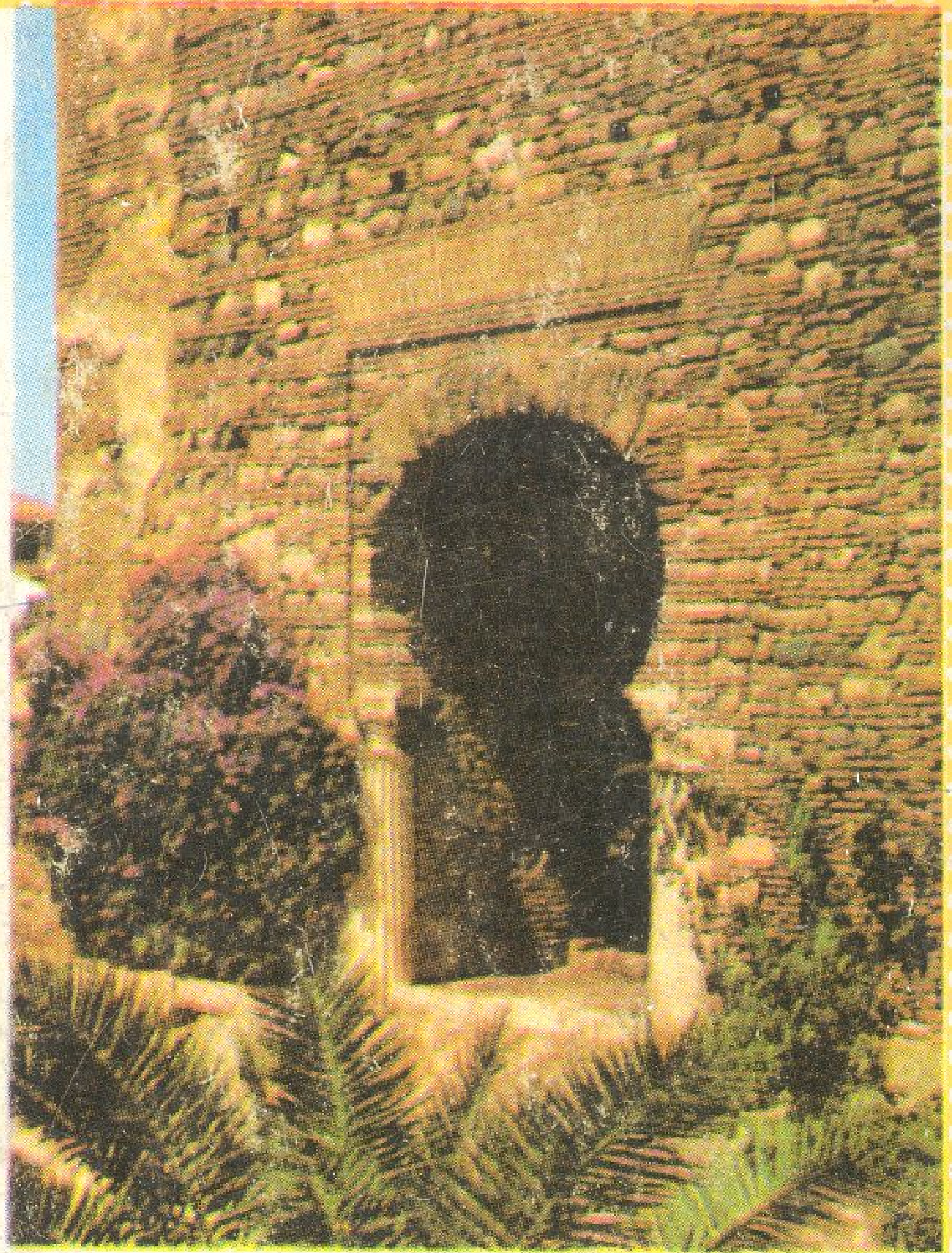
مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف

(القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي)

دراسة في مظاهر العمران والحياة الاجتماعية







للدكتور
كمال السيد أبو مصطفى
أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة
بكلية التربية - جامعة الإسكندرية

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش. الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

مالقة الإسلامية فى عصر دويلات الطوائف

(القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى)

دراسة فى مظاهر العمران والحياة الاجتماعية

للدكتور

كمال السيد ابو مصطفى

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى والحضارة

بكلية التربية - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة

ت ٤٨٣٩٤٧٢ - اسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد :

(أ)
الخصائص الجغرافية والاقتصادية لمدينة مالقـة الإسلامية .

مدينة مالقة (بالإسبانية Malaga) من المدن القديمة فى الأندلس فقد أسسها الفينقيون ـــ من أهل صور ـــ على الساحل الجنوبى الشرقى للأندلس على رأس خليج تشرف عليه من الجهة الشرقية ربوة مرتفعة تسمى بجبل فاره (بالاسبانية Gibral Faro ، وأطلقوا على تلك المدينة أو المستعمرة اسم Malacke أو Malaca [1] .

واستقر بمالقة جماعة من المستعمرين الفينقيين الذين اشتهروا بنشاطهم التجارى فى منطقة حوض البحر المتوسط ، فاشتغلوا بالتجارة مع أهل البلاد ،

---

(١) انظر أحمد الرازى ، وصف الأندلس ، نشر ليفى بروفنسال ، فى Revista Al Andalus, Madrid, 1953, p. 98,

وأيضا ابن غالب قطعة من فرحة الأنفس ، نشر وتحقيق د. لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات ، جـ ٢ ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ٢٩٤ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مجلد ٥ ، طبعة بيروت ، ص ٤٣ ، مؤلف مجهول ذكر بلاد الأندلس ، جـ ١ ، نشر وتحقيق لويس مولينا Molina ، مدريد ١٩٨٢ ، ص٦٨ ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن آراء الباحثين اختلفت حول اشتقاق كلمة مالقة العربية (بالاسبانية Malaga) فهناك رأى يقول انها مشتقة من الفعل العبرى Malac أى التملك ، ورأى آخر يميل إلى اشتقاقها من الكلمة الفينيقية Malaca حيث يذكر الباحث الإسبانى روبلس Robles أن إحدى الآلهة من مدينة صور الفينيقية وكانت تسمى Malaca أو Malacke عُبدت فى تلك المستعمرة الجديدة (مالقة) فأعطت اسمها للمدينة ، أما الرأى الثالث فيرجح أن كلمة Malaca الفينيقية تعنى المملح نسبة إلى الأسماك المملحة التى اشتهرت بها مالقة . راجع تلك الآراء فى (ابن الخطيب ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان فى الأندلس ، تحقيق د. محمد كمال شبانه ، نشر دار الكاتب العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ ص ١٦ هـ ٢ ، عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس ، الاسكندرية ١٩٨٥ ، ص ١٢٧ ، Levi-Provençal, Art. Malaga, Ency. of Islam vol. III, Leiden, 1913, p. 187 & Robles, Malaga musulmana Malaga, 1957 pp. 1 - 3)

وأقاموا مرسى نحرياً يتمتع بخصائص طبيعية فى أدنى موضع من الجبل (جبل فارة) المطل على البحر المتوسط [1] .

وكانت مالقة خلال الفترة الأولى من العصر الاسلامى فى الأندلس من أعمال كورة رية [2] ، والمرجح أنها كانت ــ آنذاك ــ مجرد مدينة صغيرة قليلة الأهمية ، حيث كانت مدينة أرشذونة ــ المجاورة لها ــ حاضرة الكورة [3] ، ثم زادت أهمية مالقة تدريجيا منذ عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ــ ٣٥٠هـ/ ٩١٢ــ ٩٦١م) الذى جعل منها احدى القواعد البحرية لاسطوله لمواجهة الخطر الفاطمى المتزايد على السواحل الجنوبية الشرقية للأندلس [4] .

---

(١) انظر . عبد العزيز سالم ، نفسه ، ص ١٢٧
Ency . of Islam, Art . Malaga, p 187 & Robles, op cit , pp 1 - 2

(٢) انظر . الرازى ، وصف الأندلس ، نشر ليفى بروفنسال فى : Al Andalus, 1953, p 98 وأيضاً ابن غالب ، نفسه ص ٢٩٤ ، عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ص ١٢٧ ،
Ency . of Islam, Art . Malaga, p 187
أما كورة رية ــ المذكورة بالمتن ــ فهى اقليم كان يقع فى جنوب شرق الأندلس إلى الشرق من كورة الجزيرة الخضراء وكلمة رية (Reyo أو Rayya) مأخوذة من اللاتينية Regio أى الملكية . وان كان البعض يرى أنها تعنى (اقليم) ، ويضيف المستشرق دوزى Dozy ان اسم الاقليم قبل الفتح الاسلامى Malacitana Regio ، وكان يمتاز بكثرة مياه الرى ولذا سمى فى العصر الرومانى Regio ، ومنها Rayya راجع تفاصيل تلك الآراء فى (ابن حيان ، قطعة من المقتبس ، تحقيق د محمود مكى ، بيروت ١٩٧٣ ص ٤٢٨ هـ ٤٥ ، النباهى المالقى ، تاريخ قضاة الأندلس ، طبعة بيروت ١٩٨٣ ص ٨٢ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، تحقيق د . حسين مؤنس ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٦٣ هـ ١ ، Robles op cit, pp 288 - 289 & Dozy, Recherches sur L'histoire et la Litterature de L'Espagne, Pendant le moyen age, t. I, 3ed., pp. 317 - 320).

(٣) انظر ابن غالب ، نفسه ص ٢٩٤ ، الادريسى ، صفة المغرب ومصر والسودان والأندلس من كتاب نزهة المشتاق ، طبعة ليدن ، ١٨٩٤ م ، ص ٢٠٤ ، ياقوت نفسه ، مجلد ٥ ، ص ٤٣ ،
Ency of Islam, Art . Malaga, p 187

(٤) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، جـ ٢ ، طبعة الاسكندرية ص ١٧٥ ،
Robles, op cit, p 325 & Ency . of Islam, Art . Malaga, p 187

وفى بداية عصر دويلات الطوائف (أوائل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى) أصبحت مدينة مالقة حاضرة الكورة التى عرفت بنفس الاسم (كورة مالقة) بينما اختفى اسم رية ، كما تعرضت أرشذونة للتخريب ورحل عنها أهلها بسبب حوادث الفتنة والحرب الأهلية القرطبية التى شملت بدمارها وخرابها معظم مدن الأندلس ، ومنذ ذلك الوقت تألقت مالقة وبرزت أهميتها الجغرافية وأصبحت من أهم مدن الأندلس المطلة على الساحل الجنوبى الشرقى ، فاتخذها بنو حمود الادارسة حاضرة لخلافتهم التى قامت فى جنوب الأندلس ، عقب انهيار سلطان الخلافة الأموية بقرطبة فى أوائل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)[1] .

ويمتدح الجغرافيون المسلمون موقع مالقة ويعددون حصانتها الجغرافية فيذكر الادريسى أنها مدينة حسنة عامرة آهلة ، تمتاز بالمنعة والحصانة[2] ، كذلك يشير ابن غالب إلى أنها حاضرة من أعظم حواضر الأندلس ، تقوت بضعف غيرها وزاد منها الكثير مما نقص من غيرها » ، كما جمعت بين مرافق البر والبحر[3] ، ويصفها ابن الخطيب بأنها « قامرة الفلاحة المخصوصة بالاعتدال والبحر العديم الصداع الميسرة للحط والاقلاع والصيد العميم الانتفاع ... وسهلها قصور وبساتين وواديها الكبير عذب فرات وأدواح مثمرات وميدان ارتكاض بين بحر ورياض »[4] .

وتذكر المصادر الجغرافية أن مدينة مالقة يجرى بها نهر يعرف بوادى المدينة (Guad almedina) ليس بدائم الجريان ، حيث يجرى فى فصلى الشتاء والربيع فحسب ، بينما يجف بقية فصول السنة[5] .

---

(١) انظر . ابن غالب ، نفسه ص ٢٩٤ ، ياقوت ، نفسه . مجلد ٥ ، ص ٤٣

(٢) انظر صفة المغرب ومصر والسودان والأندلس ، ص ٢٠٤

(٣) فرحة الأنفس ، ص ٢٩٤

(٤) انظر مشاهدات ابن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس ص ٦٠ أما كلمة قامرة بمعنى فهى عامرة بالمحصولات الزراعية ، والمقصود بها التربة الزراعية الخصبة المنتجة انظر (مشاهدات ، هـ ١ ص ٦٠)

(٥) انظر الادريسى ، نفسه ص ٢٠٠ ، الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الأقطار تحقيق د احسان =

ولاشك أن تلك الخصائص الجغرافية التى أمتازت بها مالقة قد انعكست بالتالى على حياتها الاقتصادية ونشاط السكان بها ، فالتربة الخصبة وبراعة أهلها فى فلاحة الأرض واستغلال موارد المياه فى الرى ساعد على ازدهار الزراعة فيها ، حيث كانت لها شهرة عظيمة فى زراعة التين المالقى واللوز والكروم والزيتون ، كما انتشرت المزارع والبساتين على ضفتى واديها ، ويؤكد ذلك قول ابن الخطيب : « وجبلها لوزدتين ... ومزارعها المغلة عند اشتداد السنين وكفى بفحص قامرة صادع بالبرهان »[1] ...

كذلك اشتهرت مالقة الاسلامية بغضارها المذهب ، يؤكد ذلك ابن بطوطه فى قوله : « بمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب الذى يجلب منها إلى أقاصى البلاد[2] ويضيف العُمرى أنها تختص بعمل صنائع الجلد ... وبضائع الحديد ، كما اختصت أيضا بضاعة المنسوجات والتحف الزجاجية[3].

= عباس ، طبعة بيروت ، ١٩٨٤ م ، ص ١٧ه ، المقرى ، نفح الطيب حـ ٤ ، تحقيق يوسف القاعى ، بيروت ، ١٩٨٦ ص ٢٠٨ ،

Robles, op cit, p 291 & Ency , of Islam, Art Malaga, p 187

(١) انظر مشاهدات ابن الخطيب ص ٩٠ ، المقرى ، نفح الطيب حـ ١ ص ١٤٧ ،

Robles op cit pp 290 - 291

(٢) انظر . رحلة ابن بطوطة ، حقيق د. على الكتانى ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٧٦٨ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب حـ ١ ، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف ص ٤٢٤ ، مشاهدات ص ٥٩ ، عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الاندلس ، ص ١٣٢ ، كمال أبو مصطفى ، مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس رسالة دكتوراة غير منشورة ص ٣٥٩ ،

Abd-El Aziz salém,. Centros indutriales de la ceramica hisp. Musulmana, Revista Awraq, Madrid, 1984, pp 228 - 229.

(٣) انظر ابن فضل الله العُمرى . وصف أفريقية والمغرب والأندلس من كتاب مسالك الابصار ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، بدون تاريخ ص ٤٨ ، المقرى ، نفسه حـ ١ ص ١٩٠ ، محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٠٦ ، ٢٠٨ ، كمال أبو مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ، ٣٥٩ ، جومث موريno ، الفن الاسلامى فى أسبانيا ، ترجمة د عبد العزيز سالم د . لطفى عبد البديع ، الهيئة العامة للكتاب ، ص ٣٨٣ ، Robles, op cit, pp 339 340 .

وكان لموقع مالقة الجغرافى الممتاز بوقوعها على طرق المواصلات البحرية فى منطقة حوض غرب البحر المتوسط أثر كبير فى الانتعاش والازدهار التجارى الذى تمتعت به،فكانت فى معظم فترات العصر الاسلامى من المراكز التجارية والموانىء الهامة فى بلاد الأندلس ، كما كانت احدى المحطات البحرية ، سواء لشحن وتفريغ السفن أو لإصلاح مايتعطب منها[1] ، فتشير المصادر الجغرافية إلى أن مالقة كانت مقصد المراكب ومحج التجار[2]، وأن أسواقها عامرة ومتاجرها زائرة[3] .

---

(١) انظر ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٩٤ ، الحميرى ، نفسه ٥١٧ ، مشاهدات ، ص ٥٩ ، عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام ، ص ١٢٧ — ١٢٨ ، كمال أبو مصطفى ، نفسه ص ٣٥٨ — ٣٥٩ ، Robles op. c. p. 327

(٢) ياقوت ، نفسه ، مجلد ٥ ، ص ٤٣ ، مشاهدات ، ص ٥٩ ، Derek Latham some obdervations on the bread Trade in muslim Malaga Jornal of semitic studies, vol xxix, 1984 p. 114

(٣) انظر : وصف المغرب ومصر والسودان والأندلس ، ص ٢٠٠ ؛ رحلة طافور ، ترجمة د. حسن حبشى ، دار المعارف ١٩٦٨ ، ص ٦ — ٧ .

(ب)

الأوضاع السياسية فى مالقة فى عصر دويلات الطوائف وتأثيرها على العمران والحياة الاجتماعية والاقتصادية

من المرجح أن الفتح الاسلامى لمالقة [1] (كورة رية) تم على يد عبد الأعلى ابن موسى بن نصير فى عام ٩٣هـ/ ٧١٢ــ ٧١٣م، وكان عبد الأعلى هذا قد دخل الأندلس مع أخيه عبدالعزيز بصحبة والدهما موسى بن نصير فى حملته إلى الأندلس (رمضان ٩٣هـ) فيذكر الرازى أن « موسى بن نصير أخرج ابنه عبدالأعلى فيمن رتبه من الرجال إلى البيرة (غرناطة) ... ففتحها ... ثم مضى إلى كورة رية ففتحها ... » وتمكن المسلمون بذلك من الاستيلاء على منطقة مالقة عنوة [2] .

---

(١) من المعروف أن مالقة خضعت قبل الفتح الاسلامى لحكم الفينيقيين ثم استولى عليها الاغريق ، وتعرضت بعد ذلك لغزو القرطاجيين فالرومان ثم البيزنطيين إلى أن تمكن القوط الغربيون من انتزاعها من أيدى البيزنطيين فى سنة ٥٧١ م . راجع (عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس ص ١٢٨ ، Enc. of Islam Art. Malaga p. 187

(٢) انظر ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ، مجلد ٣ ، تحقيق عبدالله عنان ص ٥٢٩ ، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، تحقيق د. مختار العبادى مدريد ١٩٦٥ ، ص ١٤٤ ــ ١٤٥ هـ ، المقرى نفسه جـ ١ ص ٢٦٢ ، عبد العزيز سالم ، نفسه ، ص ١٢٨ ، خواكين باليى Vallve ، معلومات من مخطوط تاريخ فقهاء مالقة لابن عسكر ، ضمن بحوث الدورة الخامسة للحلقات الأندلسية ، مالقة ، ديسمبر ١٩٦٦ م ، ص ٢٥ وجدير بالذكر أن بعض المصادر والمراجع أوضحت أن مالقة فتحت أثناء حملة طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م ، والبعض الآخر يشير إلى أنها فتحت على يد عبد العزيز بن موسى سنة ٩٣ هـ ، غير أن الأرجح إما اشتباه بالمتن ، لأن كورة البيرة وما جاورها مثل رية أو مالقة لم تفتح إلا أثناء حملة موسى بن نصير وعلى يد ابنه عبد الأعلى سنة ٩٣ هـ وهو مايؤكده ابن عسكر المالقى مؤرخ مدينة مالقة وكذلك ابن الخطيب نقلا عن مؤرخ ثقة هو الرازى ، راجع : (ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٢ ، طبعة بيروت ص ١١ ، الاحاطة مجلد ١ ، ص ١٠١ ،
Robles op. cit., p. 22 & Enc. of Islam, Art. Malaga p. 187)

والحقيقة أن مالقة الاسلامية لم تزدهر وتظهر على مسرح الحوادث فى الأندلس إلا بعد بداية عصر دويلات الطوائف (أوائل القرن ٥هـ/ ١١م)، أما قبل تلك الفترة فلم يرد ذكرها فى المصادر التاريخية إلا نادرا ، وكل ماوصلنا عنها قبل الطوائف مجرد شذرات واشارات مقتضبة موجزة من أهمها أن أبا الخطار الحسام بن ضرار الكلبى والى الأندلس (١٢٥ـ ١٢٨هـ: ٧٤٣ـ ٧٤٦م) قام بتوزيع الجند الشامية المتركزين بالحاضرة (قرطبة) على مختلف الكور الأندلسية فى عام ١٢٥هـ/ ٧٤٣م، فأنزل جند الأردن فى كورة رية (ناحية مالقة) كذلك كانت مالقة (كورة رية) من الكور التى أعلنت تأييدها للأمير عبدالرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية فى الأندلس فرحبت بمقدمه عقب نزوله فى ميناء المنكب بجنوب الأندلس فى ربيع الثانى سنة ١٣٨هـ/أواخر ٧٥٥م)[1].

غير أن كورة رية وأعمالها بما فى ذلك مالقة أصبحت مركزا للفتن ووكرا للمارقين على السلطة المركزية ابتداء من النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)، حيث اشتعلت فيها ثورة بنى حفصون[2] التى استمرت فترة طويلة إلى أن تمكن الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله من اخمادها فى سنة

---

(١) انظر . ابن حيان ، قطعة من المقتبس ، تحقيق د عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٨٣ ص ٢٠١ . ابن عذارى ، نفسه جـ ٢ ص ٣٣ ، ابن الابار ، الحلة السيراء جـ ١ ص ٦١ ، حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، الدار السعودية للنشر ط ٢ ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ .
Enc. of Islam, Art. Malaga p. 187.

(٢) راجع حوادث ثورة بنى حفصون بالتفصيل فى : ابن حيان ، قطعة من المقتبس نشر ملشور انطونية باريس ١٩٣٧ ص ٨٩ ــ ٩٠ ، ١١٧ ــ ١٢٥ ، ابن عذارى ، نفسه جـ ٢ ص ١٠٥ ، ١١٨ ــ ١١٩ ، ١٦٤ ــ ١٦٥ ، النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٢٢ الخاص بالمغرب والأندلس نشر ريميرو Remiro مجلة الدراسات التاريخية بغرناطة ، ص ٢١٢ ، ٢١٤ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ بيروت ١٩٥٦ ص ٣٥ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ص ٢٤٩ ، مختار العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية بدون تاريخ ص ١٦٨ ، كمال أبو مصطفى: التاريخ السياسى للجزيرة الخضراء ، مجلة كلية التربية ــ الاسكندرية ١٩٨٩ ص ٤٤٧ ــ ٤٥٣ ، Aguado Bleye, Manual de historia de España, I. I, Madrid, 1947, pp. 422, 425, 426

٣١٦هـ/٩٢٨م وأعاد بذلك الهدوء والاستقرار إلى كورة رية ، وبدأ يوجه اهتمامه إلى مدينة مالقة ، لموقعها الجغرافى المتميز على البحر المتوسط ، فاتخذها قاعدة بحرية لاسطوله كما سبقت الاشارة .

ونعمت مالقة بهدوء نسبى خلال السنوات الأولى للفتنة القرطبية التى شملت العديد من مدن الأندلس عقب مقتل عبدالرحمن شنجول بن المنصور بن أبى عامر فى سنة ٣٩٩/ ١٠٠٩م، فكانت شأن مدن شرق الأندلس ــ الملجأ الآمن أثناء تلك الفتنة الضارية ، ولذا لجأ إليها الكثير من الفقهاء والعلماء والأدباء الذين هربوا من قرطبة عقب اندلاع الفتنة والحرب الأهلية بها [١] .

ومع بداية عصر دويلات الطوائف (أوائل القرن ٥هـ/ ١١م) استقل بنو حمود الأدارسة بمالقة وأقاموا بها خلافة مستقلة فترة طويلة من الزمن ، إلا أن الأحوال السياسية بمالقة بصفة عامة خلال هذا العصر كانت مضطربة إلى حد ما بسبب المنازعات المستمرة بين أمراء الطوائف والحروب الداخلية المحتدمة بينهم ، ونتيجة للانقسامات بين أفراد الأسرة الحمودية والصراع بينهم حول العرش ، ولاشك أن عدم استقرار الأوضاع السياسية فى مدينة ما له تأثيره المباشر والسيىء على عمران المدينة وكافة جوانب الحياة فيها [٢] ، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن عذارى عن أعمال الخليفة الأموى سليمان المستعين وأتباعه البربر الذين عاثوا فى معظم مدن الأندلس ومن بينها مالقة ــ فى سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م نهبا وقتلا وتخريبا ، مما ألحق اضرارا بالغة بالأهالى ، فيقول « وانتهى البربر إلى مالقة فعاثوا فى نواحيها وقتلوا من أهلها ، ثم مالوا إلى البيرة (غرناطة) فنهبوا وخربوا وسبوا النساء ... ثم عادوا إلى مالقة بجمعهم فطلب

---

(١) انظر : القاضى عياض ، ترتيب المدارك ، تحقيق سعيد أعراب ، جـ ٨ ، نشر وزارة الأوقاف المغربية ص ١٥ ، ابن عذارى ، البيان المغرب جـ ٣ ص ١٠٦ ، ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة جـ ١ ــ طبعة القاهرة ، ١٩٥٦ ص ٢٦٢ ، ٢٦٤ ترجمة ٦٩٤ ، ٧٠٠ .

(٢) انظر : سعيد عاشور - الحياة الاجتماعية فى المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ١٩٨٠ ص ١٠٧ ، محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الاسلامية ، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٨ ص ٣٠٦

أهلها الأمان من سليمان ، فصادوهم عنهم على سبعين ألف دينار دفعوها إليه »[1] .

ومن الثابت أن تلك الإتاوات والضرائب الباهظة التي كان يدفعها أهل مالقة وغيرهم من أهل مدن الأندلس الأخرى لإنقاذ مدنهم من تخريب وعبث البربر كان لها تأثيرها على العمران والحياة الاجتماعية والاقتصادية والمستوى المعيشي للسكان ، ففي مثل تلك الأحوال المضطربة تتوقف حركة البناء والتعمير ، ويعاني الأهالي من الفقر والبؤس وتنتشر الفوضى وتنهب المحاصيل وتتعرقل المواصلات وتنتشر أعمال السلب والنهب وتشتد المجاعات ويزداد الغلاء ، ولايشعر التجار بالطمأنينة كما تستباح المحرمات ، ويشير ابن عذارى إلى ذلك مصورا الحالة بقرطبة وماجاورها من مدن وقرى خلال الفتنة بقوله : « والأمر يتفاقم شدة والناس يتوجهون إلى السواحل والبوادي واشتد حال أهل قرطبة ... وأكلوا الميتة ... ومع هذه المحق فشرب الخمر ظاهر والزنا مباح واللواط غير مستور ، ولا ترى إلا مجاهراً بمعصية »[2] .

وعلى أية حال فقد تمكن بنو حمود من الانتزاء بمالقة منذ بداية عصر الطوائف ، وذلك أنه عندما نشبت الفتنة القرطبية في أعقاب سقوط الدولة العامرية (أوائل القرن ٥ هـ/ ١١ م)، انتهز علي بن حمود أمير سبتة الفرصة وعبر إلى مالقة واستولى عليها ، ثم زحف باتباعه البربر إلى الحاضرة قرطبة واقتحمها ، وأمر بقتل الخليفة الأموي سليمان المستعين في سنة ٤٠٧ هـ/ ١٠١٦ م، وتولى علي بن حمود بذلك الخلافة بقرطبة وتلقب بالناصر[3]

(١) انظر : ابن عذارى ، نفسه جـ ٣ ص ١٠٢ .

(٢) انظر : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٠٦

(٣) راجع التفاصيل في ابن عذارى ، نفسه جـ ٣ ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٧ ، طبعة بيروت ص ٢٨٥ — ٢٨٦ ، عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، بيروت ١٩٦٩ م ، ص ٦٢ — ٦٣ ، كمال أبو مصطفى ، التاريخ السياسي للجزيرة الخضراء ص ٤٥٧ — ٤٥٨ ، ١ . seco de Lucena. Los Hommudies senores de Malaga. Algeciras Granada 1963 p 19 A Prieto y vives Los reyes de TaiFas.Madrid. 1926 p 24

ومنذ ذلك الحين تمتعت مالقة بمركز متميز فى ظل خلافة بنى حمود ، فكانت هى قاعدتهم لسنوات عديدة ، كما كانت الملجأ الآمن لهم فى جنوب شرق الأندلس ، متاخمة لوطنهم الأم (المغرب الأقصى) ، فكانوا يهرعون إلى مالقة عندما تشتد بهم الخطوب وتحيط بهم المشاكل والأخطار (١) .

وعقب مقتل على بن حمود فى سنة ٤٠٨ هـ/ ١٠١٧ خلفه أخوه القاسم (الملقب بالمأمون)، غير أنه لم يستمر طويلا ، إذ ثار عليه ابن أخيه يحيى بن على بن حمود بمالقة سنة ٤١٢ هـ/ ١٠٢١م، واضطر القاسم إلى الفرار من قرطبة دون قتال واللجوء إلى اشبيلية، بينما زحف يحيى بن على الحمودى من مالقة ودخل قرطبة دون مقاومة وأعلن نفسه وتلقب بالمعتلى . ولكن هذا الوضع لم يدم الا سنة واحدة ففى العام التالى (٤١٣ هـ/ ١٠٢٢م) تمكن عمه القاسم بن حمود من استعادة خلافته بقرطبة ، وفر ابن أخيه يحيى المعتلى إلى قاعدته مالقة (٢) .

ورغم معاناة أهل مالقة من تلك الحروب الأهلية والمنازعات بين أفراد الأسرة الحمودية ، إلا أنه وليها أفراد من بنى حمود تلقبوا بالخلافة وعرفوا بالعدل والسيرة الحسنة فى الرعية مما كان له أثره فى تخفيف المعاناة عن السكان ، فأتاح ذلك لهم فرصة العمل والانتاج والابداع فى شتى مجالات الحياة ، كما لمع بلاط بنى حمود فى مالقة ، فزخر بالعديد من العلماء والفقهاء والشعراء وأصحاب المواهب الفنية (٣) .

---

(١) انظر : الحميدى ، جذوة المقتبس ، مجموعة تراثنا ص ٢٢ ، ابن الأبار الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٦
Prieto y vives, op. cit, pp. 22, 25 - 26 & José Enrique Lopes, Los reinos de Taifas, en Historia de Andalucía, vol. II, Madrid, p. 17

(٢) راجع تلك الحوادث بالتفصيل فى : الحميدى ، جذوة المقتبس ص ٢٢ ، ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة جـ ١ تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٩ م ص ٤٨٢ ، ابن عذارى ، نفسه جـ ٣ ص ١٢٢ ــ ١٢٤ ، ابن خلدون العبر ، مجلد ٤ ، طبعة بيروت ١٩٦٨ ص ٣٣١ ــ ٣٣٢ ، Prieto y vives, op.cit, p.26, Robles, op. cit, pp. 55 - 57, Ben Aboud, Asabiyya and social relations in al-Andalus, Hes Peries, fasc I, vol. XIX, p. 14

(٣) انظر : ابن بسام ، نفسه ، مجلد ٢ ص ٨٦٢ ــ ٨٦٣ ، ابن الآبار ، الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٩ ،

ومن أبرز حكام مالقة الحموديين ادريس يحيى ، الذى بويع بمالقة وتلقب بالعالى عقب مقتل أبيه يحيى المعتلى فى أواخر سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م (أو أوائل ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م) ، فيذكر الحميدى انه كان « أرحم الناس قلبا كثير الصدقة ... ورد كل مطرود عن وطنه إلى أوطانهم ، ورد عليهم ضياعهم وأملاكهم ولم يسمح بغياض أحد من الرعية »[1] وخلفه ابن عمه محمد بن ادريس بن على بن حمود الملقب بالمهدى ، الذى بويع له بمالقة يوم خلع العالى فى سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م، وتوطدت له الأمور هناك ، وبايعته الإمارات البربرية المجاورة فى جنوب الأندلس ، وتذكر الرواية انه كان حسن التدبير « قائماً بأمور المملكة محسناً بالرعية مثمرا للمجابى قائماً بأمور الأجناد ... »[2] .

ولكن بعد وفاة المهدى بن ادريس الحمودى فى سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م — تعرضت مالقة لفترة من الاضطرابات والضعف فى عهد من تتابع على حكمها من حلفاء بنى حمود ، وانتهز باديس بن حبوس بن زيرى الصنهاجى أمير غرناطة هذه الفرصة وزحف بجيشه إلى مالقة واستولى عليها دون صعوبة وضمها إلى امارته فى سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م بعد خلع محمد المستعلى بن ادريس العالى آخر الحكام الحموديين بمالقة[3] .

وهكذا خضعت مالقة لحكم بنى زيرى الصنهاجيين البربر ، وأقام باديس

= صلاح خالص ، اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى طبعة بيروت ص ٦٥
Robles op cit pp 357 - 358.

(١) الحميدى ، نفسه ص ٣٣ — ٣٤ ، ابن الابار ، نفسه جـ ٢ ص ٢٩ وراجع التفاصيل فى Jose Enrique lopez Los reges de TaiFas en Hist de Andalusia II PP 19 - 21

(٢) انظر مؤلف مجهول ، ذيل على البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٩٢

(٣) انظر الحميدى ، نفسه ص ٣٤ ، ٣٦ ، ابن عذارى ، نفسه جـ ٣ ص ٢١٨ ، ٢٦٦ ، القلقشندى ، صبح الاعشى جـ ٥ ، طبعة بيروت ، ١٩٨٧ ص ٢٣٩ ، محمد عبدالله عنان ، دول الطوائف ، القاهرة ، ١٩٦٠ ص ١٢٩ — ١٣٠ ، مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، ص ٩٣ ، Prieto y vives, op cit, p 28

ابن حبوس ابنه المعز والياً عليها ، مما اغضب المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية الذى كان آنذاك معاديا لباديس صاحب غرناطة ، فتعرضت مالقة آنذاك لهجوم من البر والبحر شنه ابن عباد ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : « فحل (أى ابن عباد) بمرساها وجعجع بأهلها وأقام عليها أياماً براً وبحراً ... فلم يخرج اليه أحد من جندها فانصرف إلى حضرته إشبيلية ... »[1]، والحقيقة أن هذا الحصار البرى والبحرى الذى فرضه ابن عباد على مدينة مالقة أضر بسكانها ، فلم يستطيعوا الدخول أو الخروج من مدينتهم لقضاء حوائجهم كما تعطلت التجارة الداخلية ولم تعقد الأسواق خارج الأبواب كما توقف النشاط التجارى للميناء ، وأصبح من الصعب على السكان ممارسة حياتهم الطبيعية ، كما تعرضت بساتينهم وضياعهم ومزارعهم فى الأرباض الواقعة خارج الأسوار لكثير من أعمال النهب والتخريب التى تصاحب عادة أعمال حصار المدن .

ويبدو أن أهل مالقة عانوا الكثير من الظلم والعسف فى ظل بنى زيرى البربر أصحاب غرناطة ، بدليل ماأشار إليه ابن عذارى بأن أهلها استجدوا بالمعتضد بن عباد أمير إشبيلية لكى يخلصهم من ظلم باديس وأتباعه البربر ، ولم يتردد ابن عباد فى الاستجابة لهذا النداء ، فأعاد المحاولة لغزو مالقة ، بأن أرسل اليها جيشا بقيادة ولديه جابر ومحمد (الذى سيلقب بالمعتمد) وتمكن الجيش الاشبيلى من دخول مالقة ، غير أن البربر والسودان تحصنوا بالقصبة (القلعة) واستنجدوا بأميرهم باديس الذى أسرع إلى مالقة وأوقع بجيش ابن عباد الهزيمة فى سنة ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦م وأجبره على الفرار والانسحاب من مالقة ، وبذلك احتفظ بنو زيرى أصحاب غرناطة بنفوذهم فى مالقة [2].

وعقب موت باديس بن حبوس فى سنة ٤٦٦ هـ/١٠٧٣م قسمت مملكته بين حفيديه عبدالله وتميم حيث تولى عبدالله الزيرى حكم غرناطة، بينما استأثر

---

(١) انظر البيان المغرب ، جـ ٣ ص ٢٧٢ .

(٢) راجع ابن عذارى ، البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٧٣ ـــ ٢٧٤ ، ابن الأبار ، نفسه جـ ٢ ص ٤٩ ، ٥٦ .

أخوه تميم بن بلكين بن باديس الصنهاجي بولاية مالقة ، فأساء السيرة في الرعية وقام بمحاربة أخيه عبدالله ومعاداته ، وظل في تقلبه واضطراب أحواله إلى أن تمكن المرابطون من خلعه في سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، وخضعت مالقة بذلك لحكم المرابطين (١) .

وتمتعت مالقة في عصر المرابطين بالأمن والاستقرار والازدهار ، مما ساعد على انتعاش مالقة وميناءها التجاري الذي أصبح يعج بالتجار ويزخر بالسلع والبضائع فزادت ثروات أهلها ، وازدهر العمران (٢) وتألقت الحياة الاجتماعية فيها وذلك بعد أن وضع المرابطون حدا للفتن والحروب الداخلية التي عانت منها مالقة ومدن الأندلس الأخرى سنوات عديدة خلال عصر دويلات الطوائف .

---

(١) راجع تفاصيل خلع ملوك الطوائف في المقري ، نفح الطيب حـ ٦ ص ١٥١ ـ ١٥٢ ، النويري ، نهاية الأرب حـ ٢٢ نشر رميرو ص ١٨١ ـ ١٨٢ ، القلقشندي المصدر السابق حـ ٥ ص ٢٤٩ ، عبد الله عنان ، الممالك الأندلسية مالقة ص ٢١٠

Ency. of Islam. Art. Malaga. p. 188

(٢) انظر : الادريسي ، نفسه ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٤

(١)

التخطيط العام لمدينة مالقة الاسلامية وأهم المظاهر العمرانية

مقدمـــة :

مما لاشك فيه أن دراسة مظاهر العمران فى مدينة ما — سواء فى المشرق أو المغرب الاسلامى — تتسم بالصعوبة ، وذلك لأنها تعتمد — غالبا — على مراجع غير مباشرة أو على أخبار شديدة الإيجاز والاقتضاب وردت عرضا فى ثنايا المصادر ، وعلى هذا فان العقبات تعترض الباحث إذا حاول رسم صورة كاملة لاحدى المدن فى العصر الاسلامى من حيث تخطيطها ومظاهر عمرانها ، وحياتها الاجتماعية ، فهو فى هذه الحالة لايظفر الا باشارات مبتسرة ومادة شحيحة فلا تتوفر لديه الوثائق أو النقوش وغير ذلك من المصادر الأصيلة ، علاوة على أن العديد من الآثار الاسلامية فى المدن الأندلسية قد دثرت ولم يتبق منها الا القليل [١] .

وعلى أية حال كانت مدينة مالقة الاسلامية تقع فى منطقة منبسطة [٢] ، محصورة بين جبل فاره فى الشرق ، ونهرها المعروف بوادى المدينة فى الغرب ، ولذا تمتعت بحصانة طبيعية [٣] وكان يطوقها سور منيع فتحت فيه خمسة أبواب وكان مسجدها الجامع يتوسط المدينة ، وبجواره من ناحية الغرب كانت تقع المدرسة العظمى التى شيدها بنونصر سلاطين غرناطة ، أما القصبة فكانت تقع

---

(١) انظر ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة عبد الهادى شعيرة، مطبوعات جامعة الاسكندرية، ١٩٥١م، ص ٧٥ — ٧٦

(٢) انظر مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٦٠ ، رحلة طافور ، ترجمة حسن حبشى، ص ٦

(٣) انظر مانويل كاسامار ، حول الآثار المالقية ، ترجمة حسين مؤنس ، ضمن بحوث الدورة الخامسة للحلقات الأندلسية ، مالقة ، ديسمبر ١٩٦٦ م ص ١٣١

Torres Balbas. Ciudades Hispano musulmanas, t. I, Madrid p. 118

فى الجهة الشرقية من المدينة بينما كان الميناء ودار الصناعة يقعان فى جنوب المدينة على شاطىء البحر ، كما ضمت مالقة العديد من الأسواق والحمامات والمساجد والفنادق والقصور والدور الفخمة والشوارع والحومات [١] بالاضافة إلى الأرباض والمقابر والمنيات والبساتين والمتنزهات الواقعة فى ظاهر المدينة [٢] .

أولاً — الأسوار والأبواب :

تعتبر الأسوار من أهم المنشآت العسكرية التى تميزت بها المدن الإسلامية وكانت الأسوار تبنى — عادة — من الحجر أو الملاط شديد الصلابة لزيادة حصانتها ومنعتها ، ولتتمكن من التصدى لهجمات الغزاة ومقاومة حصار طويل الأمد [٣] .

وكان يحيط بمدينة مالقة فى العصر الإسلامى سور حصين بنى من الصخر [٤] ، يرجح أنه أعيد ترميمه وتحصينه فى عصر ملوك الطوائف (القرن ٥ هـ / ١١م) حيث أصبحت مالقة خلال هذا العصر حاضرة الكورة التى سميت بنفس الاسم (كورة مالقة) ، ومركز الخلافة الحمودية بجنوب الأندلس ، فيذكر الحميرى أن « جميع هذه الآثار التى أمنها (أى مالقة) فيها وبقاؤها عنها قد لحقت بها وجمعت لها فى سنة ٤٥٩هـ بمحاصرة ابن عباد لها... » [٥] .

(١) انظر : الادريسى ، نفسه ص ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ، مجلد ٣ ص ١٩١ ، العمرى ، وصف أفريقية والمغرب والاندلس من كتاب مسالك الابصار ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، ص ٤٧ — ٤٨ ، الحميرى ، نفسه ص ٥١٧ — ٥١٨ ، عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس ص ١٣٢ ، كاسامار ، نفسه ص ٣١

Robles, Malaga musulmana, p. 291.

(٢) انظر الادريسى ، نفسه ص ٢٠٠ ، مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٦٠ ، كاسامار نفسه ص ٣١

Torres Balbas, op. cit. t. I, p. 155, Robles, op. cit. p. 291

(٣) انظر : محمد عبد الستار ، المدينة الاسلامية ص ١٣٧ — ١٣٨

Torres Balbas, op. cit. t. I, p. 520

(٤) الحميرى ، نفسه ، ص ٥١٧ .

(٥) انظر : الروض المعطار ص ٥١٨ . والغالب أن سور مالقة كان قائما قبل الفتح الاسلامى بدليل =

وتفيد المصادر الاسبانية المسيحية أن سور مالقة عند الاسترداد المسيحي في سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م كان مزوداً بأبراج قوية ، عنى أهل مالقة بتحصينها [١]. وكانت تلك الابراج تزود دائما بمزاغل أو بمنافذ للسهام تمكن المدافعين من تسديد سهامهم على العدو والقاء الزيت المغلى والحمم على الأعداء [٢]. ويذكر عالم الآثار الأسباني دون ليوبولد وتوريس بالباس L. Torres Balbas أن سور مدينة مالقة عند سقوطها النهائي في أيدى النصارى الاسبان (١٤٨٧م/ ٨٩٢هـ) [٣] كان مزوداً ببرج براني يقع خارج السور . والثابت أن نظام الابراج البرانية من ابتداع أهل الأندلس ، وقد ظهرت لأول مرة على استحياء في أسوار مدينة الزهراء ولكنها عاشت في عصر الموحدين وهو نظام دفاعي يهدف إلى اغلاق الطريق أمام الأعداء في أضعف قطاعات السور [٤].

وكان ينفتح في سور مالقة الاسلامية خمسة أبواب رئيسية [٥] هي كما يلي :

١ ــ باب القصبة (بالأسبانية Puerta de Alcazaba) : وكان ينفتح بالسور

= ماتذكره الرواية الاسلامية بأن الأمير عبد الأعلى بن موسى بن نصير قد حاصر مدينة مالقة بعض الوقت قبل أن يتمكن من فتحها عنوة انظر (المقرى ، نفح الطيب جـ ١ ص ٢٦٢)

(١) انظر : مون شاك ، الفن العربي في أسبانيا وصقلية ، ترجمة الطاهر مكي ، دار المعارف ١٩٨٥م، ص ٨٤ ، Torres Balbas op. cit. t. I. P. 520, Robles, op. cit. p. 314, 316
ويذكر الباحث الاسباني كاسامار (Casamar) أن سور مالقة كان يمتد من باب غرناطة مارا بما يسمى الآن (في مالقة الحديثة) ميدان لامرثيد مخترقا شارع الألموس ومنحدرا نحو الموضع المعروف باسم Carretera ثم الشارع المعروف الآن بـ Aventureros وبعد ذلك يصل إلى شارع ماريا بلانكا Maria Blanca وينتهي عند باب بوينا بنتورا puerta de Buenaventura انظر (كاسامار ، حول الآثار المالقية ، ص ٣٢)

(٢) راجع محمد عبد الستار ، نفسه ص ١٣٩

(٣) Ciudades Hispano musul. t. I. p. 517
ويصف هرناندو دل بولجار Hernando del pulgar (صاحب مدونة الملكين الكاثوليكيين) ابراج وقلاع مالقة عند الاسترداد المسيحي بأنها « من عمل رجال عظام ، وقد بنيت قديما وفي عصور مختلفة لحماية القاطنين بها » راجع (مون شاك ، نفسه ص ٨٤) .

(٤) انظر : عبد العزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس ص ٢٢٥

(٥) الحميرى ، نفسه ص ٥١٨ ، Torres Balbas, op. cit. t. I. P. 603

الشرق للمدينة ، وعرف بهذا الاسم لوقوعه على مقربة من قصبة مالقة الشهيرة ، وكان هذا الباب يؤدى إلى سفوح جبل فاره بشرق مالقة (١) .

٢ ــ باب الوادى (Puerta de del Rio) : وكان يقع فى السور الغربى ، وسمى بذلك لأنه ينفتح على نهر مالقة المعروف بوادى المدينة ، كما عرف هذا الباب بعده أسماء أخرى منها : باب القنطرة لوقوعه قبالة قنطرة مالقه المقامة على الوادى كما أطلق عليه أحيانا باب انتقيرة Antequera لأنه كان يؤدى إلى الطريق المتجه إلى بلدة انتقيرة (من أعمال مالقة) الواقعة على مقربة منها (٢) .

٣ ــ باب الخوخة : (Puerta de Portillo) وكان ينفتح فى السور الشمالى ويسمى أيضا بباب فنتناله Puerta de Fontanalla وهى تسمية رومانية ــ لأنه كان يؤدى إلى ربض فنتناله الواقع خارج السور ، ويرجح الباحث الاسبانى روبلس G. Robles أن هذا الباب كان ينفتح فى الموضع المسمى حالياً بشارع فيكتوريا (ا Calle de victoria) ويذكر المستشرق دوزى أن الخوخة فى الأصل هى كوة باب أو نافذة ، وأنها تدل على باب ذى بويب أو باب تفتح في خوخه أى باب صغير أو نافذة ، ويضيف أن الخوخة الخادعة هى الباب الصغير فى الباب الكبير ، وهى تكون ــ عادة ــ خفية غير ظاهرة للعيان ، وتتخذ للهرب والنجاة بالنفس عند الضرورة ، وعلى هذا فان باب الخوخة له وظيفة مميزة فى حالة الحرب وكان موجودا فى عديد من مدن الأندلس (٣) .

---

(١) انظر الحميرى ، نفسه ص ٥١٨

(٢) الحميرى ، نفسه ص ٥١٨ ، ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمى ــ نشر مكتبة نهضة مصر ، بدون تاريخ ص ٧٣ ، كاسامار ، نفسه ص ٣٢ ، Robles, op cit, pp 298 - 299 .

(٣) حول باب الخوخة أو باب فنتاله راجع : مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف ص ٩٢، الصلة ، جـ ١ ، طبعة القاهرة ص ٢٣٣ ترجمة رقم٦١٨، =

٤ ــ باب الملعب(Puerta del Teatro) : وكان يقع فى الجهة الشمالية الغربية من السور ، وسمى بذلك لوقوعه أمام بقايا ملعب رومانى قديم ، ويذكر روبلس انه كان منقوشا بأعلى عقد المدخل خمسة مفاتيح ربما ترمز للأبواب الخمسة لمدينة مالقة أو لأركان الإسلام الخمس ، ويرجح روبلس أن هذا الباب كان يكتنفه برج فى فترة الاسترداد المسيحى لزيادة التحصين والحماية . ونلاحظ أنه أطلق على هذا الباب أيضا اسم باب غرناطة لأنه كان ينفتح على الطريق المؤدى إلى مدينة غرناطة ، وهو الآن يقع قرب كنيسة ومستشفى سانتا آنا (Santa Ana)[1] .

٥ ــ باب البحر (Puerta del mar) : وكان ينفتح فى السور الجنوبى للمدينة على مقربة من دار الصناعة ، ويؤدى بطبيعة الحال ــ كما هو واضح من التسمية ــ إلى ساحل البحر [2] . وتجدر الاشـــارة إلى أن هذا الباب يقع حاليا قرب شارع سان خوان (Calle de San juan) [3] .

= دورى ، تكملة المعاجم العربية ، جـ ٤ ، ترجمة محمد سليم العيمى ، منشورات وزارة الثقافة العراقية ، ١٩٨١ ص ٢٣٠ ــ ٢٣١ ، ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ص ٦٢ ــ ٦٣ ، ٦٩ ــ ٧٠ ، عبد العزيز سالم ، نفسه ص ١٣٢ ، كمال أبو مصطفى ، التاريخ السياسى للجزيرة الخضراء ص ٤٣٤ ، Torres Balbas, op cit, t. I, P. 652 & Robles, op cit, p 294

(١) انظر : ابن الخطيب ، الإحاطة ، مجلد ٢ ، ص ٥٦٤ ، كاسامار ، نفسه ص ١٣٢ ؛ Robles, op cit, p. 297.

(٢) من الملاحظ أن الحميرى يذكر أن هناك بابين بقبلى مالقة يؤديان إلى البحر وهذا يعنى وجود ستة أبواب لمالقة الاسلامية رغم أنه أشار إلى أن سور مالقة ينفتح فيه خمسة أبواب فقط . وعلى هذا فالمرجح أن الباب الثانى الذى سمى أيضا بباب البحر كان يقع إلى الشرق من باب البحر الرئيسى المؤدى إلى الميناء ويبدو أنه استحدث فى أواخر العصر الاسلامى أى فى عصر بنى الاحمر سلاطين غرناطة نتيجة لازدياد النشاط التجارى لميناء مالقة الذى أصبح الميناء الأساسى الهام لمملكة غرناطة آخر الممالك الاسلامية فى الأندلس . (الروض المعطار ص ٥١٨)

(٣) انظر : الحميرى ، نفسه ص ٥١٨ ، ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ص ٧١ Robles, op. cit, p 299 وجدير بالذكر أن ابن الخطيب يذكر اسم باب آخر بمالقة يسمى باب فالة دمن على مقربة منه أحد قضاة مالقة فى أواخر القرن ٧ هـ / ١٣ م والمرجح أنه كان بابا ثانويا صغيرا استحدث فى نهاية عصر الموحدين أو أوائل عصر بنى الأحمر .

انظر (الاحاطة ، مجلد١ ، ص ١٦١) وربما كان اسما آخر لأحد أبواب مالقة

ثانياً ــ الشوارع والدروب والرحبات والحومات :

لم يرد فى المصادر العربية أى ذكر لشوارع مالقة الاسلامية ، غير أن المصادر الاسبانية المسيحية المتعلقة بحركة الاسترداد (La Reconquista) ألمحت إلى بعض الشوارع التى كانت بمالقة عند سقوطها النهائى فى أيدى النصارى الاسبان ، فيذكر بعض الباحثين الاسبان أن معظم الشوارع الحالية وسط مدينة مالقة كانت موجودة على هيأتها فى العصر الاسلامى ، وبعضها احتفظ باسمائه العربية حتى بعد الاسترداد المسيحى للمدينة فى سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م وتوزيع دورها وقصورها وعقاراتها على النصارى الاسبان [١] .

ويفيد الباحث روبلس والباحث الأثرى المالقى كاسامار بأن من شوارع البلدة الاسلامية التى لانعرف اسمها العربى شارع mercaderes ويسمى الآن (Calle de Santa Maria) ، وشارع اباديس Abades الذى كان يمتد حتى موقع الجامع ، وشارع القصر (Calle de Alcazar) ، وكان يقوم به مسجد ، ويقع على مقربة من القصبة ، وشارع الفرسان Calle de Cablleros (وهو المسمى الآن بشارع القديس أوغسطين Call de S. Agustin) وتذكر الرواية الاسبانية أنه كان يوجد به عند الاسترداد فرن وفندق يؤمه الغرباء من الفلاحين الذين يأتون من القرى المجاورة لبيع القمح والغلال ومنتجات القرى ، كذلك كان هناك شارع البحر (Calle del Mar) ويؤدى إلى ساحل البحر قبلى المدينة وأطلق عليه عقب الاسترداد اسم شارع سان خوان calle de sant Juan [٢] .

ويضيف كاسامار أن من بين الشوارع الاسلامية : شارع الفتيات Doncellas وشارع Adelides أى الأدلاء ، وشارع Pozos dulces أى الآبار الحلوة ، وشارع Alholi أى الهرى أو الاهراء (مخازن الغلال) والملاحظ أن هذا الشارع الأخير هو الوحيد الذى يحتفظ باسمه العربى [٣] .

---

(١) انظر : كاسامار ، نفسه ص ٣٢ Robles, op cit. p 303 ،

(٢) انظر كاسامار ، حول الآثار المالقية ص ٣٢ ــ ٣٣ Robles, op cit. pp 303 306

(٣) كاسامار ، نفسه ، ص ٣٣

ومن الثابت أن بعض الشوارع الحالية بمالقة مازالت تحتفظ فى الوقت الحاضر بنفس اتجاه الشوارع الاسلامية القديمة مثل الطريق أو الشارع الرئيسى الذى يخترق الجهة الشرقية من المدينة ويصل حتى القصبة [1] . ومن ناحية أخرى يذكر بدرو لترا Pedro Ilitra ـــ الكاتب الاسبانى الذى دخل مالقة صحبة الملكين الكاثوليكيين سنة ١٤٨٧م/ ٨٩٢هـ ـــ أن مالقة الاسلامية كانت تضم ثلاثة شوارع رئيسية تمتاز بالاتساع فهى فسيحة إلى حد ما ، بينما كانت بقية الشوارع ضيقة وكثيبة وأن كانت مكتظة بالناس[2] .

وكان يتفرع من الطرق أو الشوارع الرئيسية شبكة من الأزقة والدروب والزنقات ومعظمها بدون منافذ [3] ، ويذكر ابن الخطيب اسم درب بمالقة يعرف برابعة بنى عمار قرب باب قبالة [4] ، ويضيف المقرى أنه كان يوجد فى الأندلس حراس لتلك الدروب يسمى بالداربين « لأن بلاد الأندلس لها دروب بأغلاق تغلق بعد العتمة ، ولكل زقاق بائت فيه له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معد وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم ... » [5] .

(١) كاسامار ، نفسه ، ص ٢٣ .

(٢) Torres Balbas, Ciudades HisPano musulmanas, t. I p. 338

وجدير بالذكر أن شوارع المدن الأندلسية ـــ بصفة عامة ـــ كانت تمتاز بضيقها وتعرجها والتوائها وذلك لأغراض دفاعية . انظر (عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس ص ٣٨ ـــ ٣٩ ، أحمد الطوخى ، غرناطة الاسلامية فى نظر الرحالة الأجانب ، مجلة أوراق ، مدريد ١٩٨١ م ص ١٤٣ ، محمد عبد الستار ، نفسه ص ١٧٩ ، ومايليها ، ليفى بروفنسال سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٩٩

Torres Balbas, op. cit, t. I, pp. 280 - 283 & Robles, op. cit, p. 302

(٣) راجع ابن الرامى ، الاعلان باحكام البنيان ، تحقيق محمد عبد الستار ، دار المعرفة ، الاسكندرية ١٩٨٩ ص ١٧٨ ـــ ١٧٩ ، عبد العزيز سالم ، نفسه ص ٢٨ ـــ ٣٩ ، ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ص ٩٩ ، دوزى ، تكملة المعاجم العربية جـ ٤ ص ٣١٢ هـ ٨١٧ ، توريس بالباس ، الأبنية الأسبانية، ترجمة [illegible] العانى ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ١٩٥٣ م ، ص ٩٧،

Robles, Malaga musul., p. 302 & Torres Balbas, op. cit. t. I, pp. 280, 294

(٤) انظر الاحاطة فى أخبار غرناطة ، مجلد ١ ، ص ١٦٦ .

(٥) انظر : نفح الطيب جـ ١ ، طبعة بيروت ص ١٠٧ ، عبد العزيز سالم ، نفسه ص ٣٩ ، دوزى ، نفسه ، جـ ٤ ص ٣١٢ ، ليفى بروفنسال ، نفسه ص ٨١ ، Robles, op. cit. p. 302

أما الرحبات (الميادين) فكانت نادرة بمالقة ومعظم المدن الأندلسية ، حيث تذكر الرواية الاسبانية أنه عند الاسترداد المسيحى للمدينة كانت الرحبات شبه معدومة ، كما يفيدنا الباحث الأثرى توريس بالباس بأن مالقة الاسلامية كانت تضم أربعة شوارع رئيسية تلتقى عند رحبة ويرجح وقوعها أمام المسجد الجامع فى وسط المدينة تقريبا [1]. وفيما يتعلق بحومات مالقة (وكان يطلق عليها أحيانا اسم الحارات) فلم يرد لها ذكر فى المصادر العربية ، غير أن المصادر الأسبانية المسيحية الحت إلى وجود بعض الأحياء فى مالقة عند الاسترداد المسيحى (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م) ومن أهمها مايلى :

١ — حى المسلمين (بالاسبانية La Moreria) :

وهو الحى الذى كان يسكنه المسلمون عقب الاسترداد المسيحى ، وكان يقع فى وسط المدينة ، ويذكر الباحث الاسبانى بخرانوروبلس Robles أن حى المسلمين كان يقع بالتحديد فيما بين الشارع الملكى calle Real وشارع مركاديرث calle de mercaderes وشارع سانتا ماريا Calle de Santa Maria وتفيد المصادر المسيحية بأنه وجد بهذا الحى عند الاسترداد مسجد وفرن وحمام وحانوت لبيع اللحم [2].

---

(١) انظر : ليفى بروفنسال ، نفسه ص ٩٩

Torres Balbas, op. cit. t. I, pp 296, 324 & Robles, op. cit, p 302

وتجدر الاشارة إلى أن وثائق تقسيم مالقة المعروفة باسم El Repartimiento قد ألمحت إلى وجود عدد كبير من الشوارع الضيقة والدروب أو الأزقة التى لامنفذ لها . انظر : (Torres Balbas, op. cit. t. I, pp 383, 390 ' 391) والمعروف أن الشوارع والطرق فى المدن الأندلسية كانت تخضع لاشراف ومراقبة المحتسب ، فكان يأمر الناس بعدم الجلوس على الطرقات والإحداث فيها ، وطرح الازبال والجيف وما أشبهها فى المحجات حتى لايضار بذلك أهل الدور أو المارة ، كما كان على المحتسب النظر فى شوارع المسلمين وأسواقهم فيما يحسنها أو يوسعها أو يظلمها أو يضيقها انظر (ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة ، نشر ليفى بروفنسال ، المعهد العلمى الفرنسى ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ١١٠ — ١١٢ ، ١٢٢) .

(٢) انظر فرانسيسكو جرانو روبلس ، الحى المدجن فى مالقة النصرانية ، ضمن بحوث الدورة الخامسة للحلقات الأندلسية ، مالقة ١٩٦٦ م ، ص ٤٠ ، كاستامار نفسه ، ص ٣٢ ،

Torres Balbas op. cit. t. I 190, Robles, Malaga musulmana pp 310 - 311

٢ ــ حي اليهود (La Juderia) :

تشير المصادر الاسبانية إلى وجود حى لليهود بمالقة خلال القرن ٩هـ/ ١٥م، والمرجع وقوعه فى الجانب الشرقى من المدينة ، على مقربة من مقبرة اليهود [١].

٣ ــ حي الجنوية :

وكان يقع قرب باب البحر وذلك للنشاط التجارى الكبير الذي كان يقوم به تجار جنوه فى مالقة وبعض المدن الساحلية الأخرى فى الأندلس . وكانت أحياء الجنوية تقع عادة فى المدن الاسلامية بجوار الميناء ، يؤكد ذلك أن المصادر الاسبانية المسيحية تذكر أنه كان للجنوية وقت الاسترداد المسيحى لمدينة مالقة حى تجارى يضم فندقاً للمسافرين والتجار الغرباء ، وتضيف المصادر بأن هذا الحى كان يتسم بالحصانة ، حيث شيد به الجنوية بعد نهاية الحكم الاسلامى قلعة محاطة بسور مزود بالأبراج سميت بقلعة الجنوية (Castil de Genoveses) [٢].

ثالثاً ــ المنشآت الدينية :

للمسجد أهمية كبرى فى الاسلام ، فإلى جانب وظيفته الدينية كبيت

والملاحظ أن باب حى المسلمين دى العقد لايزال موجودا حتى الآن ، وهو يؤدى إلى شارع سانتا ماريا Calle de Santa Maria انظر : (robles. Ibid. p. 309) .

(١) Torres Balbas, mozarabias y Juderias de Las ciudades hispano musálmanas. AL Andalus.IX.Madrid. 1945. p. 197, Balbas, ciudades Hispano musul t 1, pp. 214 - 215

(٢) انظر كاسامار ، نفسه ، ص ٢٢ ، مون شالك ، الفن العربى فى أسبانيا وصقلية ص ٨٤ ، Robles, op cit, p 118

وتجدر الاشارة إلى أن تجار جنوه وبيزا تمتعوا بامتيازات عديدة فى المدن الأندلسية فى العصر الاسلامى . فقد أعطى للتجار الجنوية فى بلنسية ودانية بشرق الأندلس (فى القرن ٦ هـ/ ١٢ م) على سبيل المثال فندقا للتجارة ، وكان يمنع غيرهم من السكنى فيه ، كما خصصت لهم السلطات حماما كى يستحموا فيه مجانا مرة أسبوعياً (Torres Balbas, los Alhondigas Hispano musul Al Andalus, XI 1946, p 455) وحول نشاط تجار جنوة فى مالقة خلال القرن / ١٥ م انظر أيضا (رحلة طافور ، ترجمة حسن حبشى ص ٦ ــ ٧)

للصلاة ، كان معهدا للتعليم ودارا للقضاء ، وأساس التنظيم العمراني للمدينة الاسلامية ، فهو قلب المدينة النابض بالحياة والمركز الديني الذي تلتف حوله بقية المراكز العمرانية الأخرى سواء الاجتماعية أو الاقتصادية (١) .

وكانت مالقة في العصر الاسلامي تضم مسجداً جامعاً وعدداً كبيراً من المساجد والأربطة أو الزوايا وفيما يلي بعض أسماء لهذه المنشآت الدينية :

١ ــ جامع القصبة :

أسسه الفقيه معاوية بن صالح الحمصي (٢) ، ويذكر النباهي أن معاوية هذا خرج من الشام إلى الأندلس في سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٢ ــ ٧٤٣م « فاستوطن مدينة مالقة وبنى بأسفل قصبتها مسجداً هو منسوب حتى الآن له ... » (٣) ،

(١) راجع : عبد العزيز سالم : تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس ، ص ٣٩ ــ ٤٠ ؛ أحمد شلبي : التعليم والتربية عند المسلمين ، ضمن دراسات في الحضارة الاسلامية ، مجلدا ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥ ص ٥٧ ــ ٥٨ ، ليفي بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ص ٩٧ ــ ٩٨ ، توريس بالباس ، الأبنية الاساسية الاسلامية ص ٩٩ ــ ١٠٠ والمعروف أن المساجد كانت تخضع لاشراف المحتسب فكان يتعاهدها ورحابها وما حولها ويمنع الناس من القاء القاذورات أمام رحاب المساجد . انظر (ابن عبد الرؤوف ، رسالة في الحسبة ، ص ١١١) .

(٢) هو معاوية بن صالح بن حدير بن عثمان بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمي الحمصي يكنى أبا عبد الرحمن وأبا عمرو (أو أبا عمر) كان فقيها محدثا وراويا عن الشاميين . وأصله من موضع قرب حمص يسمى عاة عبس ، خرج من الشام عقب سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ حيث انه كان من أتباع الخليفة الأموي مروان بن محمد ــ آخر خلفاء الدولة الأموية فهرب إلى الأندلس ووصلها في أواخر عصر الولاة قبل دخول الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأندلسي بضع سنين ، فسكن مالقة في بداية أمره ، ثم رحل إلى اشبيلية فاستوطنها عدة سنوات ، إلى أن ولاه الأمير عبد الرحمن الداخل القضاء والصلاة بقرطبة وتوفي في عهد الأمير هشام الرضا (١٧٢ ــ ١٨٠ هـ) ودفن بربض قرطبة . راجع ترجمته في : (ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مجلد ٧ ، دار بيروت ، ١٩٨٠ ص ٥٢١ ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف ١٩٦٦ م ص ١٣٨ ــ ١٤٠ رقم ١٤٤٥ ، الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٣٣٩ ــ ٣٤٢ رقم ٧٩٦ ، الخشني ، قضاة قرطبة ، الدار المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ١٥ ــ ١٧ ، النباهي المالقي ، تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٣ ، حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٦٥١ ــ ٦٥٢) .

(٣) انظر : النباهي ، نفسه ص ٤٣ ، الحميري ، نفسه ص ٥١٨ ، بالباس ، الأبنية الأساسية الاسلامية ترجمة علية العناني ص ١٠١ Ency. of Islam Art. Malaga vol III, p. 188

والمرجح أن معاوية بن صالح كان على مذهب الإمام الأوزاعى [1] ، ويبدو أنه غرس صحن مسجده بالأشجار (وهذا من خصائص مذهب الإمام الأوزاعى) كما فعل زميله صعصعة ابن سلام الشامى — أحد تلامذة الأوزاعى — بجامع قرطبة عندما ولى الصلاة به فى عهد الأمير الأموى عبدالرحمن بن معاوية (الداخل)[2] .

ولعل جامع القصبة كان فى البداية مجرد مسجد تقام فيه الصلوات عدا صلاة الجمعة ، ولكن منذ أن تحصنت القصبة واتخذت مقرا لحكام مالقة فى عصر الطوائف (القرن ٥هـ/ ١١م)، وازداد العمران فى مالقة اتساعا ظهرت الحاجة إلى وجود جامع آخر بالمدينة ، فتحول مسجد القصبة بذلك إلى مسجد جامع ، ويذكر ابن الخطيب أن الفقيه المالقى على بن أحمد الخشنى (ت ٧٥٠هـ) ولى الخطابة بالمسجد الأعظم من قصبة مالقة [3] ، ويضيف أن الحسين بن عبدالعزيز الفهرى كان يخطب بقصبة مالقة أى بجامع القصبة بها[4] .

---

(١) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعى إمام أهل الشام وصاحب المذهب الفقهى الذى ينسب إليه ، ولد فى بعلبك سنة ٨٨ هـ . وسكن بيروت وبها توفى سنة ١٥٧ هـ/ ٧٧٧ م . وكان ثقة كثير الحديث والعلم والفقه ، ويذكر الونشريسى أن أهل الأندلس كانوا فى البداية على مذهب الأوزاعى إلى أن انتشر المذهب المالكى فى عهد الأمير هشام الرضا وابنه الحكمَ الأول (الربضى) . راجع ترجمته فى : (ابن سعد ، نفسه ، مجلد ٧ ، ص ٤٨٨ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٢٧ رقم ٣٦١ ، الونشريسى المعيار المعرب ، جـ ٤ ، ص ٢١٧ ، جـ ٦ ، ص ٣٥٦) .

(٢) انظر ابن حيان ، قطعة من المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، بيروت ص ٤٩٤ هـ ٢٢٢ . الحميدى نفسه ص ٢٤٤ رقم ٥١٠ ، ابن سهل ، وثائق فى شئون العمران فى الأندلس مستخرجة من الأحكام الكبرى ، تحقيق محمد خلاف ، الكويت ، ١٩٨٣ ، ص ٥٠ .

(٣) انظر الاحاطة فى اخبار غرناطة ، تحقيق عبدالله عنان ، مجلد ٤ ص ١٧٨ .

(٤) انظر ابن الخطيب ، الاحاطة مجلد ١ ص ٤٦٤ . وعن الذين قاموا بالصلاة والخطبة بجامع قصبة مالقة راجع أيضا (النباهى ، نفسه ص ١٢٧ ، ابن الخطيب ، نفسه ، مجلد ٣ ص ٩٨)

٢ ـــ جامع مالقة :

ويطلق عليه أيضا المسجد الجامع والمسجد الأعظم والجامع الكبير [١] ، ويغلب على الظن أنه كان يقع فى وسط المدينة فى نفس الموضع الذى تشغله الكاتدرائية La Catedral ـــ حاليا ـــ على مقربة من البحر [٢] . وكان بيت الصلاة بهذا الجامع يتكون على حد رواية الحميرى من خمسة أروقة أو بلاطات [٣] تتعامد على جدار القبلة ، ويتكون من تقاطع هذه الممرات على الأساكيب أى الممرات الموازية لجدار القبلة مساحات مربعة الشكل تقريبا تعرف باسم أساطين كانت تعقد فيها حلقات الدروس [٤] .

ولقد حظى جامع مالقة باهتمام الرحالة والجغرافيين وامتداحهم لبنيته ، فيقول ابن بطوطة : « ومسجدها كبير المساحة شهير البركة وصحنه لا نظير له فى الحسن ، فيه أشجار النارنج البديعة » [٥] ويضيف العُمرى أن ـــ « جامعها بديع وبصحنه نارنج ونخل .. » [٦] .

وكان جامع مالقة طوال العصر الاسلامى يزخر بالفقهاء والعلماء ، فهو من أهم مراكز الاشعاع العلمى بها ، خاصة لتدريس العلوم الدينية واللغوية ،

(١) انظر : الاحاطة ، مجلد ٣ ، ص ٦٤ ، ٦٥ ـــ ٦٦ ، ٨١ ، ٩٨ .

(٢) انظر : عبد العزيز سالم ، نفسه ، ص ١٣٢ ، كاسامار ، نفسه ، ص ٣٣ ، مون شاك ، نفسه ص ٨٥ Robles, op. cit, p. 315

(٣) الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، ص ٥١٨ ، سالم ، نفسه ، ص ١٣٢
Encv of Islam. Art . Malaga. p. 188.

(٤) انظر : محمد توفيق بليع ، المسجد فى الاسلام ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ١ ، عدد ٢ الكويت ١٩٧٩ ، ص ٢٤٠ .

(٥) انظر : رحلة ابن بطوطة ، تحقيق على الكتانى ، ص ٧٦٨ ، سالم ، نفسه ص ١٣٢ ، مختار العبادى دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ ، ص ٣٩٤ .

(٦) انظر : وصف أفريقية والمغرب والأندلس من كتاب مسالك الابصار ، نشر وتحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، ص ٤٧ ـــ ٤٨ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٢
Robles op cit p 315

فيذكر ابن الخطيب أنه خطب بجامع مالقة وجلس للتدريس فيه العديد من الفقهاء البارزين أمثال محمد بن أحمد الحميرى المالقى (ت ٥٧٧ هـ) ، والفقيه محمد بن أحمد الغسانى (عاش فى القرن ٨ هـ / ١٤ م) الذى كان يتولى تدريس الفقه وعلوم اللغة والفرائض [١] .

وتجدر الإشارة إلى أن أثرياء مالقة أوقفوا العديد من ممتلكاتهم وأموالهم على جامعها ، فابن الخطيب يذكر أن الفقيه محمد بن لب الكتانى « حبس داره وطائفة من كتبه على الجامع الكبير بمالقة .. » [٢] ، ومن ناحية أخرى كان جامع مالقه موضع اهتمام حكامها فى عصر الطوائف ، فقد أمر تميم بن بلكين بن باديس الصنهاجى (آخر أمراء الطوائف بمالقة) بصنع ثريا من الفضة علقها بالمسجد الجامع بمالقة [٣] .

والملاحظ أن لم يتبق من جامع مالقة أى أثر لأن القشتاليين النصارى عندما استولوا على المدينة فى سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧ م هدموا الجامع وأقاموا كنيستهم الجامعة على بقعته وهى الكنيسة التى سميت بسانتا ماريا **Santa Maria** ومازالت قائمة إلى اليوم قرب القصبة [٤] .

٣ ــ جامع الربض :

أشارت المصادر الاسلامية إلى مسجد جامع آخر بأحد أرباض مالقة ، والمرجح أنه ربض فنتاله الواقع إلى الشمال منها ، بسبب كثرة سكانه واتساع

---

(١) راجع ابن الابار ، التكملة ، جـ ٢ ، طبعة القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ٥٢٧ رقم ١٢٣٠ ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ١ ، ص ٣١٠ ، مجلد ٣ ، ص ٦٤ ، ٦٥ ــ ٦٦ ، ٨٠ ــ ٨١

(٢) انظر ابن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ٣ ، ص ٨١ ، جوليان ريبيرا ، المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا الاسلامية ، ق ٢ ، ترجمة جمال محرز ، مجلة معهد المخطوطات جـ ١ ص ٩١ ، ١٩٥٩ م

(٣) انظر عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس ص ١٣٠ .

(٤) راجع سالم ، نفسه ، ص ١٣٢ ، كاسامار ، نفسه ، ص ٣٣ ، فون شاك نفسه ، ص ٥٨٦ ، Robles, op. cit., p. 315 وجدير بالذكر أن صحن جامع مالقة المعروف بصحن البرتقال كان لايزال باقيا حتى عهد قريب وكان يطلق عليه اسم **Patio de los Naranjos** انظر (كاسامار ، نفسه ص ٣٣)

عمرانه ، فيذكر ابن الخطيب أن الفقيه محمد بن محمد الصريحى المالقى (ت ٧٥٠ هـ) كان يخطب بجامع الربض [١] .

(ب) المساجد :

ألمحت المصادر الإسلامية والإسبانية المسيحية إلى وجود العديد من المساجد فى مالقة الاسلامية [٢] ، فابن الابار يشير إلى أن من بين مساجدها : مسجد العطارين الذى تصدر للإقراء فيه الفقيه أحمد بن محمد الانصارى (ت ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م) [٣] ويضيف أن هناك مسجدا بمالقه كان يجلس للقضاء فيه الحسين بن عبد الله الكلبى (عاش فى عصر المرابطين) والذى دفن فى مسجده هذا فى سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م [٤] .

ويذكر النباهى مسجدا آخر بمالقة دون أن يوضح اسمه ، كان مجاورا لدار محمد بن الحسن الجذامى قاضى مالقة فى عصر الطوائف ــ (القرن ٥ هـ / ١١م) ، كذلك تشير الرواية إلى مسجد ينسب للقاضى محمد بن سليمان الانصارى المالقى (ت سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م) كان يجلس فيه لتنفيذ الأحكام ، ويذكر نفس المؤلف مسجدا كان يقع بداخل مالقة بإزاء قبر القاضى المذكور ، بالاضافة إلى مسجد آخر منسوب إلى القاضى عبد الله بن أحمد المعروف بالوحيدى كان قائما داخل سور مالقة وفيه دفن القاضى سنة ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ ــ ١١٤٨ م [٥] .

ونستنتج من نص لابن الخطيب وجود مسجد صغير خارج باب فنتالة فى الربض المسمى بنفس الاسم ، وفيه صلى على الفقيه القطان المالقى سنة

---

(١) انظر : الاحاطة ، مجلد ٣ ، ص ٧٨ ، ١٩٠ .

(٢) راجع : الاحاطة ، مجلد ٣ ، ص ١٩١ ، كاسامار ، نفسه ، ص ٣٢ Robles op. cit. p. 313

(٣) انظر : التكملة ، جـ ١ ، طبعة القاهرة ، ص ٨٣ ، ٨٤ ترجمة رقم ٢٢١ ، عبد العزيز سالم ، نفسه ، ص ١٣٢

(٤) ابن الابار ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ ، رقم ٧٢٣ .

(٥) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٤

٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ ــ ١٣٥٠ م [١] . كما يذكر ابن الخطيب أن محمد بن محمد الأنصارى المعروف بالمعمم (ت سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) وكان من فقهاء مالقة الأثرياء ــ بنى بعض المساجد فى بلده ووقف عليها بعض الرباع [٢] . كذلك يشير المقرى إلى مسجد يسمى الغبار يرجح وقوعه قرب مقابر أو جبانة مالقة [٣] .

(جـ) المصـــلى :

وكان يطلق عليها فى المصطلح المغربى والأندلسى اسم الشريعة ، وهى موضع فسيح فى الخلاء خارج سور المدينة وعلى مقربة منه ، وكان المسلمون ــ يصلون فى تلك الرحبة المكشوفة صلاة العيدين وصلوات الاستسقاء [٤] .

وتشير المصادر الاسبانية إلى وجود مصلى فى مالقة كان يقع على مقربة من باب الوادى أو باب القنطرة فى الجهة العربية من المدينة [٥] ويستدل على ذلك من نقش كتابى مسجل على لوحة حجرية عثر عليها سنة ١٩٧٨ فى ربوة بهضبة مالقة يشير إلى افتتاح مصلى (شريعة) فى مالقة فى القرن ٤ هـ / ١٠ [٦] ،

(١) انظر : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، مجلد ٣ ، ص ٢٤٢

(٢) الاحاطة ، مجلد ٣ ، ص ١٩١

(٣) انظر : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٧٥ ، عبد العزيز سالم ، نفسه ، ص ١٣٢ ، ومن الملاحظ أن وثائق تقسيم مالقة (El Repartimiento) اشارت إلى وجود العديد من المساجد فى مالقة عند الاسترداد المسيحى ومن أمثلة ذلك مسجد فى أحد الأرباض ومسجد فى شارع غرناطة قرب الباب المسمى بنفس الاسم ، يبدو أنه كان فى نفس الموضع الذى شيدت فيه كنيسة شنت ياقب أو سانتياجو (Iglesia parroquial de Santiago) ، مسجد آخر فى شارع القصر (Calle de Alcazaba) بالقرب من القصبة

انظر : (كاسامار ، حول الآثار مالقية ، ص ٤٤ ، Robles op. cit. pp. 303, 313, 314

(٤) انظر : ابن حيان ، قطعة من المقتبس ، تحقيق محمود مكى ص ٤٦ ، ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ص ٩٩ .

(٥) Torres Balbas, Ciudades Hispano musulmana t.I, p. 220.

(٦) Excavaciones en los montes de Malaga. Preparado por los prs. Ruiz y Valvé en revista del Instituto egipcio, madrid 1976-1978, p. 131

كذلك يتضح من نص لابن الخطيب خروج أهل مالقة (فى القرن ٨ هـ/ ١٤ م) إلى المصلى لأداء صلاة الاستسقاء فى المُحول أى أوقات القحط والجفاف [١] .

(د) الأربطة أو الزوايا :

وتعرف فى المشرق بالخانقاوات ، وكانت هذه الربط تشتمل على مساكن للفقراء والزهاد والمتصوفين . ومسجد لأداء الصلوات ، وكان النزلاء ينقطعون فيها للتأمل والذكر الجماعى ، ويعيشون فيها حياة التقشف والزهد . وكانت تلك الأربطة أو الزوايا إلى جانب أنها مؤسسات صوفية كانت أيضا معاهد علمية تدرس فيها العلوم الدينية أو الشرعية وعلوم التصوف ، علاوة على دورها فى حماية السواحل والثغور . وكان لكل رابطة شيخ يرأسها وله خادم يتولى العناية بالرابطة [٢] ومن أمثلة تلك الأربطة : رباط بمالقة على جبل فاره قرب ساحل البحر كان يديره الفقيه حسن بن عبد الله بن عباس، ورابطة أخرى قرب المقابر خارج سور مالقة تسمى رابطة الغبار [٣] .

ومن الملاحظ أن الأثرياء من أهل مالقة كانوا يتولون انشاء تلك الأربطة أو الزوايا ويحبسونها على الفقراء والغرباء وأهل التصوف ، كما كانوا يوقفون عليها بعض الأراضى الزراعية والبساتين [٤] .

---

(١) انظر الاحاطة ، مجلد ٣ ، ص ٢٤٦ حيث يقول فى معرض ترجمته لأحد فقهاء مالقة « وكان له حظ رغيب من فقه وحديث وتفسير وفريضة ، ولى الخطابة ببلده مالقة . واستسقى فى احول ، فسقى الناس » ويستطرد قائلا « حضرت مقامه ، مستسقيا ، وقد امتنع الغيث وقحط الناس ، فما زاد عند قيامه أن قال ، استغفر الله . فضج الخلق بالبكاء والضجيج ولم يبرحوا حتى سُقوا

(٢) اجع الونشريسى ، المعيار المعرب ، جـ ٧ ص ١٦٤ ، حسين مجيب المصرى أثر العرس فى حضارة الاسلام جـ ١ صص دراسات فى الحضارة الاسلامية، القاهرة، ١٩٨٥ م ، ص ١٩٦ ــ ١٩٧ . مختار العبادى ، دراسات ، ص ٢٩٥ ، محمد عبد الستار ، نفسه ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣
Torres Balbas, op. cit., t. I, p 237

(٣) انظر المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٤ ص ٢٧٥ ، مختار العبادى دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩

(٤) راجع التفاصيل فى الونشريسى ، المعيار ، جـ ٧ ، ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، كمال أبو مصطفى . الاحباس فى الأندلس . دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٤٧ ــ ٤٨ ، ٥٢ .

رابعاً — القصبة وحصن جبل فاره :

تعتبر قصبة مالقة أكبر قصاب الأندلس عظم مساحة بعد قصبة الحمراء بغرناطة ، كما أنها تعد من أضخم الآثار الاسلامية الباقية فى شبه الجزيرة الإيبيرية ، إذ أنها عبارة عن حصن وقصر يغطيان تلا كاملا من أسفله إلى أعلاه ، فهى تقع عند الطرف الشرقى للمدينة بأعلى ربوة صخرية بسفح جبل فاره ، وعنها يقول الحميرى : « وقصبتها فى شرق مدينتها ... وهى فى غاية الحصانة والمنعة »[1] .

ويرى بعض الباحثين أن قصبة مالقة أقيمت أول الأمر فى أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ — ١٧٢ هـ / ٧٥٦ — ٧٨٨ م) ، بينما يميل البعض الآخر إلى أنها أقيمت فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠ — ٣٥٠ هـ / ٩١٢ — ٩٦١ م) ، استنادا إلى أن الجزء الأدنى من القصبة يحمل فى طرازه المعمارى طابع عصر الخلافة ، مما يدل على أنها ست حلاله[2] .

وقد أعيد بناء تلك القصبة وتحصينها فى عهد الأمير باديس بن حبوس الصهاجى صاحب غرناطة وذلك فيما بين عامى ٤٤٦ و ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ — ١٠٦٣ م) حماية لها من أطماع الطامعين والأعداء من أمراء الطوائف لاسيما المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية[3] ثم أعيد بناء أسوار القصبة

---

(١) انظر الروض المعطار ، ص ٥١٨ ، عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس ص ٢٤٢ ، كاسامار ، نفسه ص ٣١ ، إغوت شاك ، نفسه ص ٨٤ Robles, op. cit, p. 316
Torres Balbas, Ciudades t. II, p. 498 & E[illegible] of Islam, III p. 188

(٢) انظر سالم ، نفسه ، ص ٢٤٢ ، فرانسيسكو جرانو روبلس ، الفن المدجن فى مالقة ص ٢٨
Robles, op. cit., p. 317.

(٣) انظر سالم ، نفسه ص ٢٤٢ ، جومث مورينو ، الفن الاسلامى فى أسبانيا، ترجمة عبد العزيز سالم لطفى عبد البديع ،الدار المصرية للتأليف،بدون تاريخ، ص ٢٨٩ ، عبد الله عنان ، دول الطوائف القاهرة ، ١٩٦٠ ص ١٣٠ — ١٢٧
Torres Balbas, Ciudades, t. II, p. 499 & Robles, op. cit., p. 317

وحصنت مرة أخرى فى نهاية القرن ٧ هـ وأوائل ٨ هـ / أواخر ١٣ وأوائل ١٤م ، على أيدى سلاطين غرناطة (١) .

ويذكر الحميدى أنه فى عهد بنى حمود كان يوجد مجموعة من السودان مرتبين فى قصبة مالقة للدفاع عنها ، خاصة وأن الحكام أو الأمراء كانوا يتخذون مقرهم — عادة — داخل القصبة لحصانتها ومنعتها (٢) .

ومن الجدير بالذكر أن القصبة أدت دورا هاما فى احتفاظ بنى زيرى الصنهاجيين بسلطانهم فى مالقة . فالمصادر تشير إلى أن جيش ابن عباد عندما تمكن من دخول مالقة لاذت فرقة من السودان والبربر — من أتباع بنى زيرى الصنهاجيين — إلى القصبة وتحصنوا بها ، وعجز الجيش الإشبيلى عن اقتحامها ، مما أوهن قواه وساعد ذلك جيش باديس الصنهاجى أمير غرناطة ، على ايقاع الهزيمة بجيش ابن عباد واجباره على الفرار والانسحاب من مالقة . ومما يدل أيضا على حصانة تلك القصبة وصف ابن عذارى لها بقوله : « ... وهى (أى القصبة) بحيث ينشأ تحتها الدجن ويعجز دونها ترامها الظن إناقة مكان وإطالة بنيان ... » (٣) .

وكان يحيط بالقصبة على حد قول الحميرى، سور من الصخر (٤) ، ومن الثابت أن أسوار القصبة الموزعة فى نطاقين ترجع إلى عهد الأمير باديس صاحب غرناطة ، وكانت الأسوار مزودة بأبراج ضخمة مربعة الشكل تمتد من مسافة إلى أخرى ، ومن أهم أبراجها : البرج الواقع فى طرفها الشرق ويعرف ببرج

---

(١) Torres Balbas, op. cit. t. II, p. 499

(٢) انظر جذوة المقتبس ، ص ٣٤ ، الادريسى ، نفسه ص ٢٠٤ . ليفى بروفنسال، سلسلة محاضرات عامة، ص ٩٦ — ٩٧

(٣) انظر : البيان المغرب ، جـ ٣ ، طبعة بيروت ، ص ٢٧٣ — ٢٧٤ ، الاحاطة مجلد ١ ص ٤٣٦

(٤) انظر : الروض المعطار ، ص ٥١٧

التكريم (Torre de Homenaje) والبرج الداخلى ويسمى برج الحجاب وكانت مهمته الحراسة الليلية [1] .

والحقيقة أن القصبة تتألف من مجموعة من المنشآت المعمارية يلي بعضها بعضا فالجزء الأسفل من القصبة وهو الذى يضم المدخل والباب الرئيسى وباب الأعمدة وميدان الأسلحة والباب المسمى بباب المسبح (أو باب النطاق الأدنى) ومجموعة الغرف المحيطة به ومقر القائد ، كل هذه تحمل طابع عصر الخلافة الأموية ، أما قصر باديس الواقع بجوار حجرات غرناطة ومجموعة الدور ، فهذه المبانى تحمل طراز عصر الطوائف وما يلى ذلك حتى نصل إلى القمة نرى فيه آثاراً موحدية وأخرى يرجع تاريخها إلى عصر بنى نصر سلاطين غرناطة وكذلك إلى أيدى عاملة مدجنة [2] .

وعلاوة على القصبة كانت مالقة تضم حصناً هاماً يسمى حصن جبل فاره ، يصفه المقرى بالحصانة والمنعة[3] ، وكان يقع شرق الربوة التى تقوم عليها القصبة ، فى موضع شديد الانحدار على أسس قلعة فينيقية قديمة ، هذا الحصن أقيم فى أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (حوالى سنة

---

(١) راجع . جومث مورينو ، نفسه ، ص ٢٨٩ ، غزاو روبلس ، نفسه ، ص ٣٨
Torres Balbas, ciudades, t. II, p. 499.

(٢) انظر : عبد العزيز سالم ، نفسه ، ص ٢٤٢ ، جومث مورينو ، نفسه ، ص ٢٨٩ Robles, op. cit. pp. 316 - 317 Torres Balbas, op. cit., t. II, p. 499, Ency. of Islam, Art. Malaga, p. 188
ويذكر الباحث الاسبانى جومث مورينو أن تخطيط قصبة مالقة كان على النحو التالى :
١ ـــ المدخل . ٢ ـــ الباب الرئيسى . ٣ ـــ باب الأعمدة ٤ ـــ عقد المسبح (باب النطاق الأدنى) . ٥ ـــ ميدان الأسلحة . ٦ ـــ برج الحجاب للحراسة الليلية ٧ ـــ عقود غرناطة .
٨ ـــ حجرات غرناطة (القرن ٥ هـ / ١١ م) . ٩ ـــ قاعة (من القرن ١٦ م) ١٠ ـــ قصور بنى نصر ملوك غرناطة . ١١ ـــ الجب ١٢ ـــ الحمام . ١٣ ـــ حى الدور . ١٤ ـــ برج التكريم
١٥ ـــ باب الخروج إلى حصن جبل فاره راجع (مورينو) الفن الاسلامى ، ص ٢٨٩)
ويضيف مون شاك أن قصبة مالقة ـــ عند الاسترداد المسيحى ـــ كان يحيط بها سور مزدوج الجدران يرتكز عليه اثنان وثلاثون برجا عملاقا
انظر (الفن العربى فى أسبانيا وصقلية ص ٨٤)

(٣) انظر : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢١٧ ، رحلة طافور ، ص ٦

١٧٠ هـ/ ٧٨٧ م) وجدد بناؤه — كما يذكر عالم الآثار الأسبانى توريس بالباس — فى عهد بنى الأحمر سلاطين غرناطة الذين اهتموا بتحصينه لمواجهة الخطر الاسبانى المسيحى المتزايد على مملكة غرناطة الاسلامية (١)

وكان الحصن يتألف فى البداية من سياجين أحدهما خارجى مبنى من الآجر والثانى يتصل بالقصبة ، وفى عهد الخليفة الأموى الناصر لدين الله (٣٠٠ — ٣٥٠ هـ) اهتم الأمويون بتحصينه واتمامه ، ثم حوله بنو حمود إلى قلعة منيعة وأقاموا به برجا هائلا للاشراف على مالقة وخليجها ويطلق عليه الآن (Torre Vigia) (٢).

ويشير الاستاذ توريس بالباس إلى أنه على مقربة من حصن جبل فاره ، وإلى الشرق منه ، كان يقوم برج برانى يرجع تاريخه إلى عصر بنى نصر وكان هذا البرج يرتكز على أربعة عقود ولم يتبق منه شيء اليوم (٣) ، ويضيف الاستاذ بالباس أن هناك برجا برانيا آخر بمنطقة جبل فاره يعرف بالبرج الأبيض (Torre blanca) وهو من أكبر الأبراج البرانية التى حفظت لنا فى الأندلس (٤).

ومن الملاحظ أن هناك استحكامات وتدابير صناعية أخرى كانت بمالقة فى أواخر العصر الاسلامى ، فالمدونات المسيحية تشير إلى أقبية (أو قبوات) كانت قائمة بها عند الاسترداد المسيحى سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧ م وظيفتها

(١) سالم ، نفسه ، ص ٢٢٨ ، كاسامار ، نفسه ، ص ٣١ .

(٢) سالم ، نفسه ، ص ٢٢٨ ، فون شاك ، نفسه ، ص ٨٤ ، كاسامار ، نفسه ص ٤٣١
Robles, op. cit., pp. 325-326

وتجدر الاشارة إلى أنه لم يتبق من هذا الحصن اليوم إلا أسوار السياجين والجباب وجزء من البرج الرئيسى (الأعظم) الذى يقال انه كان يعلوه منار يرسل الضوء إلى البحر انظر (سالم ، نفسه ، ص ٢٢٨) .

(٣) Torres Balbas, Ciudades, t. II, p. 499 & Ency. of Islam. Art., Malaga, p. 188

(٤) Robles, op. cit., p. 314 & Torres Balbas, op. cit., t. II, pp. 569, 592

توفير نوع من الحماية للمدينة وسكانها [1] ، هذا بالاضافة إلى الخندق الفسيح الذى تضمنته الروايتان الاسلامية والمسيحية ، وكان يقع بين بابى غرناطة والقنطرة لخدمة الأغراض الدفاعية فى الجانب الغربى من المدينة ، والمرجح أن هذا الخندق حفر فى عصر بنى نصر عندما اشتد خطر النصارى الإسبان على المدن الإسلامية فى جنوب الأندلس [2] .

خامساً ــ القصور والدور والحمامات :

(ا) القصــــور :

تشير المصادر العربية والإسبانية إلى وفرة دور مالقة وقصورها ، فيذكر ابن الخطيب أن « سهلها قصور » [3] ويذكر الادريسى أنها مدينة عامرة آهلة كثيرة الديار ... بهية كاملة سنية » [4] ، كما أوضح الحميرى انها تمتاز بالمبانى الفخمة [5] . أما المؤرخ الاسبانى بولجار Pulgar صاحب مدونة الملكين الكاثوليكيين) الذى عاصر الاسترداد المسيحى لمالقة وحضره فيقول : « وكثير

---

(١) Torres Balbas, Ciudades, t. II, pp. 548 - 549

(٢) انظر المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٦ ص ٢١٧ Robles, op. cit., p. 301 وعن الخنادق فى مدن الأندلس راجع التفاصيل فى (Torres Balbas, op. cit., t. I, pp. 545 - 547) وتجدر الاشارة هنا إلى أن الخندق حفر فى غربى المدينة بالذات لأن تلك الجهة مكشوفة وضعيفة التحصين لوقوع وادى المدينة بها وهذا الوادى يجف فى الصيف والخريف ويصبح مجراه جافا ورمليا مما يسهل على العدو الوصول سريعا إلى المدينة من تلك الجهة المنبسطة ، ولذا فان وجود الخندق يعوق من تقدم العدو ويدعم الوسائل الدفاعية حول المدينة . ومن ناحية أخرى كان يحيط بكورة مالقة سلسلة من الحصون من أهمها : حصن الورد المعروف حصن ست ميور وحصن أطبة فى الغرب ، وحصن بلشى مالقة والحمة فى الشرق ، وحصون بنى شبرو قمارش والريسول فى الجوف وهذه الحصون كانت تشكل خطا دفاعيا أماميا لمالقة انظر (النباهى ، نفسه ، ص ٨٢ ، ١١٥ ، ابن الآبار التكملة ، جـ ٢ ، ص ٨٩٥ رقم ٢١١١ ، الاحاطة ، مجلد ١ ، ص ٢٢٥ ، المعيار ، جـ ٢ ص ١١٥ ، مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق مولينا جـ ١ ص ٦٨ ، القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٢)

(٣) انظر مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٦٠

(٤) صفة المغرب وأرض مصر والسودان والأندلس ، ص ٢٠٠ .

(٥) الروض المعطار ، ص ٥١٨ .

من العمارات الكبيرة ببيت في الدروب (١)، كذلك سجل بعض المؤرخين والرحالة المسيحيين — الذين زاروها في أواخر العصر الاسلامي أو عقب الاسترداد المسيحي — اعجابهم بمباني مالقة وقلاعها وبساتينها المنتشرة في كل أرجاء المدينة (٢).

ولاشك أن القصور والدور في العصر الاسلامي حفلتا بمظاهر عديدة للحياة الاجتماعية لطبقتي الخاصة والعامة على السواء بما كان يتبع فيهما من عادات وتقاليد ومايعقد فيهما من مجالس للعلم والأدب والأنس والطرب (٣)، فالمعروف أن أمراء الطوائف وكبار رجال الدولة والأثرياء في الأندلس اهتموا بتشييد القصور الفخمة التي اتخذوا منها محافل لحياة زاخرة للهو والملذات والاحتفالات (٤)، كما تمتع بعض الفقهاء بالثراء الفاحش نذكر منهم على سبيل المثال الفقيه محمد بن الحسن الجذامي قاضي مالقة في عهد بني حمود (القرن ٥ هـ / ١١ م) ، الذي كان يمتلك قصراً بمدينته مالقة (٥).

ولعل أهم قصور مالقة الاسلامية قصر يحيى المعتلي بن علي بن حمود (الذي سمي فيما بعد بقصر باديس) (٦) وكان يحيى المعتلي قد شيد هذا القصر بقصبة مالقة ، ولم يتبق من هذا القصر — الذي حدثت فيه زيادات في عهد باديس الصنهاجي وعصر بني نصر — سوى قاعة يبلغ طولها ٧,٥ متر وعرضها ٣ أمتار ، وتنتهي جنوباً بشرفة تطل على البحر (٧).

---

(١) انظر : فون شاك ، الفن العربي في أسبانيا وصقلية ص ٨٤

(٢) فون شاك ، نفسه ، ص ٨٤ .Torres Balbas, Ciudades, t. I, p. 155

(٣) انظر : محمد عبد الستار ، المدينة الاسلامية ، ص ٣٢٩ ، ٣٤٧

(٤) توريس بالباس ، الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: دكتور السيد مصطفى غازي ، دار المعارف ، ١٩٧١ ، ص ١٥

(٥) انظر : النباهي المالقي ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٩٠ ، ٩٢

(٦) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، مجلد ٢ ، تحقيق احسان عباس، ص ٨٥٩

(٧) انظر جومث مورينو ، نفسه ، ص ٢٩٤ ، عبد العزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس ص ٢٠٠ — ٢٠١ ، ويذكر عالم الآثار الاسباني جومث مورينو أن مدخل القاعة تربيعي

ويذكر عالم الآثار الكبير جومث مورينو أنه عثر فى مالقة على أحواض رخامية كان الغرض منها تزويد القصور بالمياه الصالحة للشرب ، بينما كان البعض الآخر يتخذها للزينة فى الحدائق مع نافورة تنبثق منها المياه [1] .

(ب) الدور :

تشير المصادر إلى دور بعض فقهاء مالقة دون أن تذكر أى وصف لها والنباهى يذكر داراً لمحمد بن الحسن الجذامى قاضى مالقة فى عهد يحيى المعتلى الحمودى (عصر الطوائف) ـــ كانت مجاورة لأحد المساجد [2] ، كذلك يفيد ابن الخطيب بأن هناك داراً بمالقة كان يسكنها الفقيه محمد بن لب الكنانى ويضيف بأن هذا الفقيه كانت « له شجرة تين بصحن داره » [3] .

غير أن الاكتشافات الأثرية الحديثة ازالت الكثير من الغموض الذى كان يحيط بدور مالقة الاسلامية ، فقد أسفر البحث الأثرى فى قصبة مالقة عن آثار مجموعة من الدور الصغيرة لاتقل روعة عن قصر مالقة ، لعلها كانت مخصصة لرجال الحاشية وكبار الحراس فى البلاط ، وهى اما أن تكون قد أقيمت أثناء تشييد القصر (أى فى عهد بنى حمود) أو أنها بنيت فى عهد باديس الصنهاجى أو حفيده تميم بن بلكين بن باديس آخر حكام مالقة فى عصر دويلات الطوائف وهو الرأى الأرجح [4] .

ويفيد الباحث الأثرى توريس بالباس بأنه عثر على بقايا هذه الدور فى أقصى الجانب الشرقى وآخر حيز وأعلاه من القصبة فيما بين حجرات غرناطة وبرج

= بائكة من ثلاثة عقود مكسوة بزخارف رائعة ويسبق هذه البائكة رواق أعيد بناؤه فى عصر بنى نصر ، وتطل هذه القاعة على بهو وإلى الغرب منها يقع بناء مربع الشكل راجع التفاصيل فى (جومث مورينو) الفن الاسلامى ، ص ٢٩٤ ـــ ٢٩٥ ، عبد العزيز سالم ، المساجد والقصور ، دار المعارف، ١٩٥٨ م ، ص ٩٨ ـــ ٩٩)

(١) انظر الفن الاسلامى فى أسبانيا ص ٢٢٤

(٢) تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٩٢

(٣) انظر الاحاطة ، مجلد ٣ ، ص ٨٠ ـــ ٨١

(٤) انظر جومث مورينو ، الفن الاسلامى ، ص ٢٩٧

التكريم ويضيف بأن هذه الدور تتجمع فى ثلاثة تجمعات وتفصل بينها دروب مرصوفة بقوالب حجرية ، وكان لكل دار دهليز يستوى فيه الباب الخارجى والباب الداخلى متواجهين أو متجانبين ، وصحن صغير مربع عثر فيه باحدى الدور على بقايا مرحاض وبداخله مصطبة ومصرف ومسارب ، فضلا عن مجار تمتد بأسفل المصارف لازالة مياة الأمطار المتساقطة فى الصحون ، وعثر أيضا فى بعض الاطلال على منابت درجات ضيقة عالية تؤكد وجود طوابق عليا بالدار كما عثر على بقايا حمام صغير [1].

هذا وقد أجريت فى أعوام ٧٦ ، ٧٧ ، ١٩٧٨ م عدة حفريات أثرية فى منطقة هضبة مارموياس (Marmuyas) فى الجانب الشرقى من مالقة — حيث عثر على العديد من الآثار الاسلامية . ففى البعثة الأثرية الأولى سنة ١٩٧٦ اكتشفت بأحد المواضع بالهضبة المالقية مساكن وصهريج كبير تحت الأرض ، ويبدو أنهم كانوا يرفعون المياه من الآبار ثم يصبونها فى الصهريج لإمداد سكان الحى بالماء اللازم ، كما عثر على بقايا جدران وعقود من الملاط ، وتسع حجرات ذات ثلاث أروقة ، منها ثلاث حجرات ترتبط فيما بينها عن طريق عقد على شكل حدوة الفرس ، والجدران مجصصة ومطلية بلون أحمر ، وتكسو الأركان زخارف سوداء . أما المادة المستخدمة فمتنوعة فمنها الحجر الأردوارى والكلسى وقطع من القرميد المقوس ، ويرجح انها تعود إلى طراز عصر الخلافة [2] .

---

(١) يشير الباحث موريبو إلى أن النظام كان موحدا تقريبا فى كل الدور ، فهناك ممر منكسر أو مستقيم للدخول وبهو أو صحن مربع من حوله حجرتان أو ثلاث وأربع فى الدور الكبيرة، ثم مرحاض ، كما يوجد درج صغير يدل على وجود طوابق عليا . ويضيف العالم توريس بالباس بأن وجود حى من الدور المتواضعة فى الأندلس فى أواخر القرن ٥ هـ أو أوائل ٦ هـ (١١ — ١٢ م) يحتوى كل منها على مرحاض ويتوافر فيها جميعا نظام متقن لتصريف فضلات المياه يعد ظاهرة فريدة وغير عادية ما كان يمكن العثور عليها فى غير أسبانيا الإسلامية . راجع التفاصيل حول تلك الدور فى (جومث موريبو ، نفسه ، ص ٢٩٧ — ٢٩٨ ، توريس بالباس ، الفن المرابطى والموحدى ص ٣٤ — ٣٥ Torres Balbas, El barrio de Casas de la Alcazaba Malaguena, Al Andalus, vol X, Madrid 1945, pp 396 - 409.

(٢) Excavaciones en los montes de Malaga, pp 128 - 129

وعلى مقربة من الصهريج عثر على بركة ماء يرجح أنها كانت تقع بصحن احدى الدور المهمة لشخص من ذوى الثراء ، وبجوارها عثر أيضا على بقايا صحن الدار مع ملاط من الاردوار ممتزج بملاط المسكن ، وهو مشابه لغيره الذى يرجع إلى القرنين الخامس والسادس للهجرة (الحادى عشر والثانى عشر الميلادى) (١) .

وفى موضع آخر بالهضبة عثر على بعض المساكن ، وهى عبارة عن منازل صغيرة ربما كانت جزءا من أحد الأحياء ، ويرجح أنها كانت منطقة فقيرة ، وعثر فى احدى الدور على خزانة للطعام (بيت للمؤنة) ترتفع إلى حد ما عن مستوى سطح الأرض ، كما اكتشفت بعض المطامير التى حفرت فى الصخر لحفظ الغلال أو المحاصيل ، كذلك عثر على دنان (أو خوابى) ضخمة لحفظ الحبوب والزيوت (٢) .

واكتشفت البعثة الأثرية الثانية سنة ١٩٧٧ م فى موضع آخر من الهضبة بعض الحجرات وبجوارها معصرة للزيت وبقايا من الخزف وأنابيب فخارية وخابية كبيرة وهذه البقايا الأثرية تشكل بلاشك جزءا من احدى الدور المحصنة ، كما عثر فى موضع صخرى على رواق وبقايا ملاط من الكلس والمرمر أبيض وأحمر ، وأطباق حديدية وقناديل وحراب للصيد (٣) .

ويصف بدرو لترا Pedro Ilitra منازل مالقة (٤) ــ عندما دخلها بصحبة

---

(١) Excavaciones en los montes de Malaga, p. 129

(٢) Excavaciones, p. 129

(٣) Excavaciones, p. 130

(٤) لم تكن دور مالقة فيما يظهر تختلف كثيرا عن بقية المنازل فى المدن الأندلسية الأخرى ، فكان المنزل الأندلسى ــ عامة ــ يدخل اليه عن طريق باب صغير يليه أسطوان أو ممر منكسر يؤدى إلى صحن مربع يتوسط الدار ويمدها بالهواء والضوء ، ويتوسط الصحن ــ أحيانا ــ نافورة ينطلق منها الماء فيرطب المكان وتهدأ لرؤيته النفوس أو تتوسطه بئر تحيط بها أشجار وازهار كما كان الحال فى بعض المدن التى تخلو من قنوات المياه مثل مالقة واشبيلية وطليطلة ، فيذكر ابن الخطيب أن دار الفقيه المالقى ابن لب كان بها شجرة تين ، مما يدل على اهتمام أهل مالقة ــ مثل غيرهم من الأندلسيين ــ =

الملكين الكاثوليكيين عند الاسترداد المسيحي لها سنة ١٤٨٧ م / ٨٩٢ هـ — بأن واجهات الدور كان يغلب عليها طابع الكآبة والحزن على عكس ما كانت عليه فى الداخل ، ويضيف قائلا أن بعض الدور كانت تتسم بالروعة والجمال وأنها كانت تزدان بالزخارف والتنميقات ، وعلى الرغم من صغر مساحتها إلا أنها تبعث الانتعاش فى النفس ، فالمسلم كان يؤسس داره لنفسه كي ينعم بالحياة فيها مستقلا عن غيره [1] .

وتزودنا كتب الفقه والوثائق والسجلات الأندلسية ببعض الاشارات القيمة عن الدور والعمـــران فى الأنـدلس بصفـة عامة ، فابـن العطـار القرطبـى يذكـر أن الجارى فى الأنـــدلس ، أن يتفـــق شخص ما مع حفّــــار على أن يحفر له بئــــراً (أو مرحاض) فى داره مقـــابل مبـلغ معين من المـــال يتفق عليه ، ويكتب ذلك فى وثيقـــة (أو عقـــد) يحـــدد فيهـــا أيضـــاً

= بزراعة صحون منازلهم وحجر الاشجار فيها لاضفاء نوع من الجمال عليها ، حيث أن المرأة الأندلسية — كما فى المشرق — كانت تقضى معظم يومها داخل بيتها فلا تخرج الا نادرا ، فحياتها كانت وثيقة الصلة بداخل الدار انظر : الاحاطة ، مجلد ٢ ص ٨٠ ، بالباس ، الفن المرابطى والموحدى ، ١٢٧ ، عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام ص ١٨٤ — ١٨٧

Levi-provenÇal, Hist. de l'Espagne musulmane, t. III, Paris, 1967, pp. 411 - 412, Torres Balbas, Ciudades, t. I, pp. 395 - 396

(١) انظر : توريس بالباس ، الفن المرابطى والموحدى ، ص ١٢٤ ، Torres Balbas, Ciudades, t. I., p. 406 ومن الملاحظ أن واجهات الدور الأندلسية لم يكن يزينها سوى فتحات المداخل الصغيرة الخالية تماما من الزخرفة والنوافذ القليلة الصغيرة ذات « الشرجب » ، أما المنازل ذات — الأهمية فكان يزين الطابق العلوى منها شماسات أو شراجيب بارزة إلى الخارج تستطيع منها النساء مشاهدة مايدور بالخارج دون أن يراهن أحد ، وكانت النساء تتسلى عادة بالفرجة من خلال فتحات الشرجب الذى بالشماسات لمشاهدة مايحدث فى الخارج من حياة تختلف تماما عن حياتهن المنزلية الرتيبة التى تسير على وتيرة واحدة . وكانت هذه الشماسات تزيد فى ضيق الأزقة والزنقات وكذلك فى اظلامها ، وكان بمالقـــة عنـد الاسترداد المسيحى عدد كبير من هذه الشماسات التى كانت تزيد من ضيق أزقتها ، كما تذكر الرواية الاسبانية المسيحية . ومن ناحية أخرى يشير الونشريسى إلى اهتمام أهل الأندلس برش صحون دورهم بالمياه لتلطيف الجو زمن الصيف ولاحداث نوع من الانتعاش لأهل الدار . راجع التفاصيل فى (المعيار ، جـ ٢ ، ص ٢٠١ بالباس ، الفن المرابطى والموحدى ص ١٢٤ ، ١٢٧ ، سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام ، ص ١٨٤ — ١٨٥

Torres Balbas, op. cit, pp. 304, 306.

موقع الدار واسم المدينة ومدى سعة البئر وعمقها ويشهد على الوثيقة بعض الشهود [١]. ومن ناحية أخرى كان أهل الأندلس يحرصون على تسجيل عقد حيازة الدار أو العقار أمام القاضي، وكان يكتب فى هذا العقد اسم القاضي والموضع الذى يقيم فيه وأسماء الشهود وموقع الدار من الحومة (أى الحى)، أو الربض أو المسجد، ومرافق الدار ومنافعها ثم يؤرخ عقد الحيازة بالشهر والسنة[٢]:

وتفيد كتب النوازل والفتاوى الفقهية بأن بعض الدور قد تتعرض أحيانا لاضرار يتسبب فيها الجار نتيجة قيامه بعمل ميزاب، مما يترتب عليه نزول ماء المطر فى صحن دار جاره وهنا يقوم الجار المتضرر بأخذ شهود عدول إلى منزله لمعاينة الضرر الذى لحق به ويشهدون بذلك أمام القاضي الذى كان يحكم بازالة الضرر تطبيقا للمبدأ الفقهي المعروف « لا ضرر ولا ضرار » وأن دفع الضرر مقدم على جلب المنافع[٣]، كذلك كان هذا المبدأ الهام يطبق عند قيام شخص ما بتشييد فرن يطل على دار جار له، ولم يستطع فى نفس الوقت أن يدرأ عن هذا الجار الاضرار المترتبة على استخدامه لهذا الفرن مما يسبب خطرا عليه، فكان القاضي يحكم فى تلك الحالة بوجوب هدم الفرن وازالته لحماية الجار من السناج والدخان واخطار الحريق[٤].

ويتضح مما ذكره الونشريسي ان الجار قد يحدث كوة أو فتحة صغيرة على دار جاره يمكن أن يطلع منها على أحواله وأسراره أو يسمع مايدور بداخلها، فيشكو حينئذ الجار من وقوع الضرر عليه، ويلجأ إلى القاضي الذى يقضى بازالة الضرر واغلاق الكوة أو النافذة [٥].

(١) انظر الوثائق والسجلات نشر شالميتا وكورينطي، مدريد، ١٩٨٣، ص ٤٧٣

(٢) انظر ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص ٣٥٧ ــ ٣٥٨، ٣٥٩.

(٣) راجع التفاصيل فى ابن العطار، نفسه ص ٣٧١ ــ ٣٧٢.

(٤) انظر التفاصيل فى: ابن سهل الأندلسي، وثائق فى شئون العمران فى الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد خلاف، ص ٣٠، ٣٢، ٩٨، ١١٧

(٥) راجع معيار جـ ٨، ص ٤٥٠، ٤٥٢

(جـ) الحمـــامات :

تشير المصادر العربية إلى كثرة حمامات مالقة ، فالادريسي والحميري يذكران أن بداخل مدينة مالقة وبأرباضها حمامات حسنة [1] .

وقد أسفرت الحفريات الأثرية التي أجريت حديثا في مالقة عن الكشف عن آثار بعض الحمامات التي اكتشفت بالقصبة [2] ، كما تذكر وثائق التقسيم El Repartimiento أن هناك ربضا بمالقة كان يقع عند باب غرناطة وباب انتقيرة يضم عددا من الحمامات[3] .

سادساً ــ الأسواق والقيسارية ودار السكة والفنادق :

(ا) الأســـواق :

لم تكن الأسواق تقام في موضع معين من المدينة ولكنها كانت تتوزع في

---

(١) انظر الادريسي ، صفة المغرب ومصر والسودان والأندلس ص ٢٠٤ ، الحميرى الروض المعطار ، ص ١٨٠ ، Torres Balbas, Ciudades, t. I, p. 182

(٢) ، انظر : جومث مورينو ، نفسه ص ٢٩٨ Guillen Robles, op. cit., p. 302

(٣) Guillen Robles, op. cit., p. 294.

وجدير بالذكر أن المصادر الاسلامية أو المسيحية لم تزودنا للأسف ــ بوصف شامل لحمامات مالقة في العصر الاسلامي وأن كنا نعتقد أن حمامات مالقة كانت لاتختلف عن حمامات الأندلس الأخرى فالحمام الأندلسي كان يتألف عادة من مدخل ثم ثلاث أو أربع حجرات أساسية متقباه . ويكملها في نهاية الجهة المقابلة حجرة الوقود . وكان يدخل إلى الحمام عن طريق باب منخفض يؤدي إلى اسطوان أو ممر صغير منعرج ، ويلي ذلك في معظم الحمامات صحن صغير مغطى أو مكشوف يلحق به مرحاض ، ويلي الاسطوان حجرة ضيقة تسمى بالبيت البارد وربما كان يخلع المستحمون ملابسهم ، ويليها غرفة أخرى تسمى البيت الوسطاني وكانت أكثر دفئا من الغرفة السابقة ، ويلي ذلك قاعة أخيرة تسمى البيت الساخن ، وينتهي الحمام بموقد كبير يسمى القدر تخرج منه أنابيب الماء الساخن والبارد وتتخلل الجدران لتصب في الاحواض الرخامية أو الحجرية المسماه بالصهاريج والملاحظ أنه كانت هناك حمامات خاصة للرجال وأخرى للنساء وأحيانا كان حمام الرجال تستخدمه أيضا النساء ولكن في أوقات مختلفة وكانت تلك الحمامات تخضع لاشراف المحتسب انظر (ابن عبد الرؤوف) ــ رسالة في الحسبة ، ص ٧٦) وراجع تفاصيل وصف الحمام الأندلسي في . (توريس بالباس ، الأبنية الاسبانية الاسلامية ، ص ١٠٨ ــ ١١٤ سالم، في تاريخ وحضارة الاسلام ، ص ٢١٢ ــ ٢١٣ ؛ محمد عبد الستار ، نفسه ، ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧

Levi provençal, Histoire, t. III, pp. 430 - 431

عدة مواضع ، فهى الأماكن التى تتجمع فيها الحوانيت والمتاجر ، ويكثر فيها الباعة والتجار وأصحاب الحرف، وعلى هذا الأساس فان السوق قد يقع فى شارع أو أكثر أو فى رحبة عند ملتقى الطرق أو فى الأرباض الواقعة خارج الأسوار أو على مقربة من أحد الأبواب (١) .

وتشير المصادر إلى كثرة أسواق مالقة الاسلامية ونشاطها التجارى ، فيذكر الادريسى أن «أسواقها عامرة ومتاجرها دائرة»(٢)، ويضيف الحميرى أن بها أسواق جامعة كثيرة فى الربض والمدينة (٣) ، وكذلك يفيد الرحالة طافور أن مدينة مالقة كانت تزخر بشتى أنواع المتاجر ، وأن المنطقة المجاورة للبحر كانت تغطى بالأهالى الذين تتألف غالبيتهم من طبقة التجار (٤) .

ورغم أن الباحث الاسبانى كاسامار يشير إلى أنه من الصعب علينا تحديد الأسواق بمالقة الاسلامية (٥) إلا أنه يمكن القول وفى ضوء بعض الاشارات التى وردت فى المصادر أن تلك الأسواق كانت تقع غالبا حول ساحة المسجد الجامع وبالقرب من أبواب المدينة وفى الرحبات الواقعة فى ملتقى الحارات والدروب ، وكانت السوق تضم حوانيت فئة معينة سواء من التجار أو من أرباب الحرف والصناعات (٦)

ويمدنا السقطى المالقى بصورة واضحة عن أنواع الأسواق بمدينته مالقة ، فيذكر أن من بينها أسواق الحصارين والقطانين والقصابين والحدادين

---

(١) انظر توريس بالباس ، الأبنية الاسبانية ، ص ٩٧ Torres Balbas, ciudades, I, p 301

(٢) انظر وصف المغرب ومصر والسودان والأندلس ص ٢

(٣) انظر الروض المعطار ، ص ٥١٨ ، عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس ص ١٣٢

(٤) انظر رحلة طافور ، ترجمة حسن حبشى ، ص ٦

(٥) مانويل كاسامار ، حول الآثار المالقية ص ٣٢

(٦) انظر ابن عبدون رسالة فى القضاء والحسبة ، ص ٢٢ ، ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٩٩ — ١٠٠ ؛

Torres Balbas, ciudades t I pp 295 320

والقصارين بالاضافة إلى أسواق الرقيق وباعة الحرير والمنسوجات والأقراق وغيرها [1] ويشير ابن الخطيب كذلك إلى سوق للغزل كان يقام بمالقة [2] .

وبالاضافة إلى هذه الأسواق اليومية كانت تعقد بمالقة فى العصر الاسلامى أسواق أسبوعية داخل المدينة وعلى مقربة من الأبواب ، أو فى الأرباض [3] كان ينتجعها أهل القرى المحيطة بالمدينة لبيع منتجاتهم المختلفة التى يختصون بها ثم يدخلون إلى المدينة لشراء حاجياتهم من أسواقها الداخلية المتخصصة فى صنع مايحتاجون اليه [4] .

ونستدل أيضا من الرواية الأسبانية عن وجود سوق للدواب كان يقع فى زمن الاسترداد بالقرب من باب غرناطة ، كان أهل مالقة يقومون فيه ببيع دوابهم أو غنائم غاراتهم وحروبهم ، كما كان يوجد أسفل أسوار القصبة موضع رحب كان يطلق عليه فندق الماشية (corral de los ganados) ، لعله كان سوقا آخر للدواب بمدينة مالقة [5] .

(ب) القيســـارية :

كانت قيسارية مالقة تقع بجوار المسجد الجامع ، بالقرب من البحر وباب الوادى أو باب انتقيرة (باب القنطرة) ، وربما عند الشارع المسمي أباديس Abades . [6] . وكانت تلك القيسارية تتألف من ممرات أو أزقة مسقوفة

(١) انظر : كتاب آداب الحسبة ، نشر كولان وليفى بروفنسال ، باريس ١٩٣١ م ، ص ٢٤ ، ٢٧ ، ٦٣ ــ ٦٥ ، القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٥ ، طبعة بيروت ، ص ٢١٢ .

(٢) الاحاطة ، مجلد ١ ، ص ٣٢٥

(٣) انظر : الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٥١٨ ، كمال أبو مصطفى ، مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس ص ٢٠٢

(٤) راجع . محمد عبد الستار ، المدينة الاسلامية، ص ١٧٨ .

(٥) Guillen Robles, Malaga musulmana, p. 295

وحول أسواق الدواب فى الأندلس راجع التفاصيل فى

(Torres Balbas, zocos y tiendas de Las Ciudades hispano Musulmanas, Al-Andalus, XII, 1947, p. 448)

(٦) انظر : كاسامار ، نفسه ، ص ٣٢ Guillen Robles, op. cit., p. 308

ومليئة بالحوانيت الملتصقة ببعضها ، ومدخلها يتكون من باب معقود بقوس عُرف به اسم الشارع الذى تطل عليه القيسارية فعرف بشارع القوس calle del Arco وكان قائما عند الاسترداد المسيحى كما تذكر وثائق التقسيم . وكان للقيسارية عدة أبواب تغلق ليلا ، ويتولى الدرابون حراسة حوانيتها . وظلت قيسارية مالقة تحتفظ بعد حركة الاسترداد بنفس الموضع الذى كانت تقوم فيه فى العصر الاسلامى [1] .

(جـ) دار السكة :

كانت دار السكة (أو دار الضرب) من أهم المنشآت المعمارية فى المراكز العمرانية بالمدينة الاسلامية وكانت تقع — غالبا — على مقربة من الدواوين ومراكز الادارة نظرا لأهميتها ، باعتبارها شارة من شارات الملك ، ومن هنا كان الاهتمام من جانب السلطة بالاشراف على دار السكة التى تقوم بسك العملة للدولة [2] .

ويرجح الباحث الاسبانى جيين روبلس وجود دار سكة مالقة [3] داخل

(١) راجع حول قيسارية مالقة عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام ص ٢١٨ — ٢٢٠ ، أحمد الطوخى ، القيساريات الاسلامية ، مجلة كلية الآداب — جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٨١ ، ص ٩٢—٩٣ . Robles, op cit., p. 308, Torres Balbas, ciudades, t. I, pp. 177, 351.

وجدير بالذكر أن ابن الخطيب يفيد بوجود بعض الحوانيت التى يرجح انها كانت قائمة بقيسارية مالقة ، فيشير إلى أنه كان للأديب الشاعر محمد بن غالب الرصافى المالقى إدكان رفاء وكان يجاوره دكان آخر لشخص يدعى أبو جعفر البلنسى . انظر (الاحاطة ، مجلد ٢ ص ٥٠٦— ٥٠٧) . ومن ناحية أخرى يذكر توريس بالباس أن وثائق تقسيم مالقة تشير إلى وجود عدد من الشوارع المسقوفة بسقف تحمله أعمدة وأقواس بمدينة مالقة عند الاسترداد المسيحى ، والغالب أن هذه الحوانيت كانت تتوزع على جانبى تلك الشوارع المسقوفة ، ويضيف بأن هذه الحوانيت كانت تمتاز بضيقها وعتمتها إلى حد ما وسقفها المنخفض ، وكانت تباع فيها السلع والمنتجات النفيسة التى اشتهرت بها مالقة مثل الفخار المذهب والتحف الزجاجية والحرير الموشى والنسيج المزركش وما شابه ذلك انظر : Balbas, op cit., t. I, pp 390 391. Robles, op cit., p 302

(٢) انظر محمد عبد الستار ، نفسه ص ٣١٢ .

(٣) قامت دار السكة بمالقة بسك العديد من العملات من الدنانير والدراهم فى عصر دويلات الطوائف فقد عثر على دنانير تحمل اسم مالقة ونقش عليها « ولى العهد ، الامام يحيى المعتلى بالله ، أمير المؤمنين » ، كما عثر على درهم ضرب بمالقة فى عهد الخليفة الحمودى ادريس العالى . وعند خضوع =

القصبة ، خاصة وأنها كانت تمثل مقر حكام مالقة علاوة على أنها تضم الدواوين وثكنات الجند [1] .

(د) الفنادق (أو الخانات) :

تشير المصادر الجغرافية إلى توفر عدد كبير من الفنادق فى أرباض مالقة فيذكر الادريسى أن لها « ربضان .. بهما فنادق » [2] والمرجح أن مالقة كانت تضم فنادق أخرى كانت قائمة داخل المدينة وخاصة بجوار الجامع والقيسارية وكذلك بالقرب من البحر لخدمة المسافرين والتجار الغرباء [3] .

وكانت الفنادق تتخذ مخزنا وسكنى ومكانا لالتقاء التجار الغرباء وعقد الصفقات التجارية . والفندق الأندلسى كان يتألف — غالبا — من صحن مستطيل تحف به أربعة أروقة تشتمل على مجموعة من الغرف ، وكان الطابق الأرضى يشتمل على حوانيت ومخازن للبضائع واصطبلات للدواب ، أما العلوى فكان يشتمل على حجرات للنزلاء ، ولم يكن بتلك الحجرات سوى الحصر والغطاء [4] .

= مالقة لبنى زيرى الصنهاجيين أصحاب غرناطة قاموا بسك عملة لهم فى مالقة وغرناطة على نفس النمط الحمودى ، ومن أمثلة عملاتهم بمالقة درهم سك فى مدينة مالقة سنة ٤٥٠ هـ نقش عليه « الدرهم بمدينة مالقة سنة خمسين وأربعمائة ، الامام إدريس العالى بالله أمير المؤمنين » .

راجع التفاصيل حول العملات فى مالقة فى عصر الطوائف فى Prieto y vives, los reges de taifas, Madrid, 1926, pp. 109 - 110, 166 - 167, 173, 175 - 176; Robles, op. cit, pp. 238 - 239, 248 - 250)

(١) انظر : ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٩٧ Robles, op. cit , p 345

(٢) انظر : وصف المغرب ومصر والسودان والأندلس، ص ٢٠٤ .

(٣) راجع : رحلة طافور ، ترجمة حسن حبشى، ص ٦ .

(٤) انظر : ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ص ١٠٠ ، عبد العزيز سالم فى تاريخ وحضارة الاسلام ص ٢١٦ ، ٢١٧ Balbas, Los Alhondigas Hispano musulmanas, Al-andalus, XI, 1946, pp. 447 - 448.

سابعاً ــ الأرباض :

يقصد بالأرباض (ومفردها ربض Arrabal) فى المصطلح الأندلسى أحياء الأطراف أى تلك الأحياء الواقعة خارج أسوار المدينة (أو مايسمى حديثا بالضواحى) ، ويذكر ابن الرامى أن الربض يقصد به أيضا منطقة سكنية فى أطراف المدينة ، وهى امتداد لعمران المدينة الأم [1].

وتشير المصادر الإسلامية والمسيحية إلى العديد من أرباض مالقة ، كما تشيد باتساع عمرانها وكثرة سكانها ، فالأدريسى يذكر أن بمالقة ربضان كبيران يشتملان على فنادق وحمامات ، لا أسوار لهمـا ربض فنتاله وربض التبانين [2] كذلك يشير الحميرى إلى وجود العديد من المبانى الفخمة والحمامات والأسواق الجامعة بالربض [3] ويضيف العمرى أن بمالقة « ربضان عامران أحدهما عن علوها والآخر عن سفلها » [4] ، لعل أحدهما هو الربض الشرقى الذى ذكر ابن الخطيب أنه كان يضم جنة (بستان) للفقيه القاضى عياض بن محمد اليحصبى (ت بمالقة سنة ٦٣٠ هـ) [5]

---

(١) انظر ابن الرامى ، الاعلان بأحكام البنيان ، تحقيق محمد عبد الستار ص ١٦٩ ، ليفى بروفنسال ، نفسه ص ٩٩ .

Balbas, ciudades, t. I pp 170 - 171

(٢) انظر : وصف مصر والمغرب والسودان والأندلس ص ٢٠٠ ، ٢٠٤ . كاسامار نفسه ص ٣٢ . أما كلمة التبانين الواردة بالمتن فاننى أميل إلى أنها تصحيف لكلمة التيانين . (أى تجار وباعة التين) وهذا مايذهب اليه أيضا الباحث الأثرى الاسبانى توريس بالباس ، ومما يدعم هذا الرأى أن مالقة الاسلامية كانت شهيرة بالتين المنسوب اليها (التين المالقى) فتذكر الكثير من المصادر الجغرافية « أن لها (أى مالقة) فيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب اليها » أما كلمة التبانين فتبدو غريبة فى نص الادريسى ولا تنطبق على مدينة مالقة خاصة انه لم يرد بالمصادر أى ذكر لشهرتها بالتبن أو وجود سوق للتبن بها . راجع (الادريسى ، نفسه ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٥١٧ . Torres Balbas, ciudades, t. I, pp 173, 182.

(٣) انظر الروض المعطار ، ص ٥١٨ ، عبد العزيز سالم ، نفسه ، ص ١٣٢ .

(٤) انظر وصف أفريقية والمغرب والأندلس ، ص ٤٧ ، القلقشندى ، نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ ، مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٩٤ .

(٥) الاحاطة ، مجلد ٤ ، ص ٢٢١

وقد يكون الربض السفلى نفس الربض المسور الذى ورد ذكره فى المصادر الاسبانية وكانت أسواره مزودة بالابراج وذلك فى سياق عرضها لحصار الملكين الكاثوليكيين للمدينة فى سنة ١٤٨٧ م (٨٩٢ هـ) [١] وقد يكون نفس الربض الواقع على مقربة من البحر والذى ورد ذكره فى المدونات المسيحية فى سياق حديثها عن سقوط مالقة نهائيا فى أيدى النصارى وكانت تكثر به البساتين والدور [٢]. ويذكر الباحث كاسامار ـــ نقلا عن وثائق تقسيم مالقة ـــ أن ربضا بمالقة كان يسمى ربض القنطرة عند الاسترداد المسيحى للمدينة [٣]، وتشير تلك الوثائق أيضا إلى وجود أحد الأرباض على مقربة من بابى غرناطة وانتقيرة، كان محاطا بسور ويشتمل على العديد من الدور والحمامات والافران والفنادق والبساتين، ويرجح روبلس انه ربض فنتناله الذى أشار اليه الإدريسى [٤].

ثامناً ـــ المنيات والمتنزهات والقنطرة والجسر والرملة :

تشير المصادر بكثرة المنيات والبساتين والمتنزهات فى مالقة الاسلامية، فيذكر ابن الخطيب أن سهلها بساتين وواديها الكبير عذب فرات وأدواح مثمرات وميدان ارتكاض بين بحر ورياض » [٥]. كذلك يشير إلى وجود منية بمالقة تسمى منية السيد، من بناء أبى العلاء ادريس الموحدى [٦]، كانت تقع على ضفة نهر مالقة المعروف بوادى المدينة [٧].

---

(١) Torres Balbas, ciudades, t. I, p. 182

(٢) Ibid, p. 100, IV, 28.

(٣) انظر : كاسامار، حول الآثار المالقية، ص ٣٢.

(٤) Robles, op. cit., pp. 294, 295

(٥) انظر : مشاهدات ابن الخطيب، ص ٦٠

(٦) هو أبو العلاء أدريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الموحدى، اعتلى الخلافة الموحدية فى سنة ٦٢٤ هـ وتلقب بالمأمون، وتوفى وهو فى طريقه إلى مراكش فى سنة ٦٣٠ هـ. انظر (ابن الخطيب، الاحاطة مجلد ١ ص ٤١١، القلقشندى، نفسه جـ ٥ ص ١٨٨، عبد الرحمن الحجى، التاريخ الأندلسى، دمشق ١٩٨٧، ص ٤٦٦).

(٧) انظر : ابن الخطيب، الاحاطة، مجلد ١ ص ٤١١، ٥٤١. أما كلمة منية ـــ المذكور بالمتن ـــ

ونستنتج مما ذكره الونشريسى أن مالقة كانت تشتمل على موضع يعرف بالرياض الشرق ، ويرجح انها مجموعة من البساتين أو الجنات كانت تقع بشرق مالقة خارج السور [1] ، ويفيد ابن بسام أن من بين أماكن التنزه فى مالقة ربوة تعرف بالعقاب مشرفة على وادى مالقة كانت تكثر بها الآبار والمياه الجارية [2] ، كذلك هناك الموضع المعروف بفحص أو مرج قامرة ، وهى منطقة خصبة زاخرة بالمروج الخضراء والبساتين وكانت تقع فى غرب المدينة [3] .

ويمتدح المؤرخون الإسبان الذين شهدوا استرداد مالقة فى سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧ م بساتين تلك المدينة ومتنزهاتها ، فيذكرون انها كانت محاطة بالبساتين والحدائق وأماكن التنزه واللهو [4] .

كذلك تميزت مالقة بقنطرتها المقامة على وادى المدينة ، فالمعروف أن الأندلس اشتهرت بكثرة الأنهار التى تشق مدنها ، ولذا كان من الطبيعى أن يهتم امراء الأندلس وخلفاؤها باقامة القناطر على تلك الأنهار ، التى كان يقصدها أهل المدينة للتنزه والتسلية والمرح [5] ، فتشير الرواية الاسبانية المسيحية إلى باب بمالقة يسمى باب القنطرة كان تقع أمامه قنطرة انتقيرة Antequera التى تهدمت فى سنة ١٦٦١ م [6] .

---

* فهى مصطلح أندلسى يقصد به قصر ريفى تحيط به الجنان والبساتين ، ذلك أن أهل الأندلس كانوا مولعين بالعيش فى أحضان الطبيعة بعيداً عن ازدحام المدن وضجيجها ، والاستمتاع بالحياة بعيدا عن أنظار الفضوليين . انظر : (سالم ، نفسه ص ١٩١ ـ ١٩٣ ، أحمد بدر ، دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها ، دمشق ١٩٧٢ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ، Balbas, ciudades, t. I, pp. 139 - 141

(١) انظر : المعيار المعرب ، جـ ٥ ، ص ١١٤

(٢) انظر : الذخيرة ، ق ١ مجلد ٢ ، ص ٨٥٨

(٣) مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٦٠ .

(٤) Balbas, ciudades, t. I, pp. 154 - 155

(٥) انظر . عبد العزيز سالم ، قرطبة ، حاضرة الخلافة فى الأندلس ، جـ ٢ ، بيروت ١٩٢ م ، ص ٢٦

(٦) انظر . كاسامار ، نفسه ، ص ٣٢ ، Robles, op. cit., p. 299

أما الجسر الذى اشتهرت به مالقة ، فيرجح أنه من بناء الرومان الذين برعوا فى بناء الجسور [1] ، فيذكر الحميرى انه (أى الجسر) من بناء الأول ، ويقع بازاء المرسى على ساحل البحر حيث ينكسر عليه الموج [2] ويضيف الزهرى أن هذا الجسر « عجب من عجائب الأرض » [3] .

وهناك أيضا موضع بمالقة يسمى الرملة (بالاسبانية Rombla) ويقصد بها رملة الوادى أى نهر وادى المدينة عندما يجف صيفا ويتحول مجراه إلى منطقة رملية جافة . وكانت رملة مالقة الواقعة قبالة باب البحر ، من المتنزهات العامة والمكان الذى تقام فيها الاحتفالات والأعياد الشعبية فى العصر الإسلامى [4] .

تاسعاً — دار الصناعة (بالاسبانية Atarezana) :

تشير بعض المصادر العربية إلى وجود دار لصناعة السفن فى مالقة الاسلامية [5] ، ويرى بعض الباحثين أن دار صناعة مالقة ترجع إلى عصر بنى نصر (أصحاب مملكة غرناطة) ، غير أننى أميل إلى الرأى الذى يقول بأنها شيدت فى عصر الخلافة الأموية وبالتحديد فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، لأنها كانت فى عهده من القواعد البحرية الهامة فى الأندلس بدليل النص الذى أورده ابن حيان حيث يقول : « ونظر (أى — الخليفة الناصر) عند مقامه بالجزيرة (أى الجزيرة الخضراء) فى إحكام أمر البحر وضبطه على أهل

(١) عن الجسور فى الأندلس ، راجع التفاصيل فى · عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس ص ٢٢٢ — ٢٢٤

(٢) انظر : الروض المعطار ، ص ٥١٧ — ٥١٨

(٣) انظر : كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، مجلة الدراسات الشرقية ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٩٣ .

(٤) انظر : ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ص ٦٧ Robles, op cit , p 295 ومن الملاحظ أن هناك موضعا بمدينة وادى آش بظاهرها يسمى الرملة كانت تخرج اليه النساء للنزهة . انظر (المقرى ، نفح الطيب جـ ٦ ص ٦٨) .

(٥) انظر : العمرى ، وصف أفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٧ ، القلقشندى ، نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ .

العدوتين ... فاستدعى جملة من المراكب البحرية من مالقة وإشبيلية وغيرهما من مدن الطاعة بركابها ... فأقامها بباب الجزيرة » [1].

على أية حال كانت دار صناعة السفن بمالقة من أكبر دور الصناعة في الأندلس في العصر الاسلامي ، وللأسف لم يتبق منها اليوم سوى بوابتها الكبرى وعقدها الأنيق ، الذي نقش عليه شعار بني نصر « لا غالب إلا الله » [2].

عاشراً ــ المقــــابر :

كانت المقابر في الأندلس تقام ــ عادة ــ في المواضع السهلة المنبسطة خارج الأسوار وعلى مقربة من أبواب المدن [3]. وكان أهل مالقة يحرصون شأنهم شأن الجمهرة العظمى من أهل الأندلس ــ على احاطة مقابرهم بالأشجار والخضرة لدرجة أنهم كانوا يسمون القبر أحيانا بالروضة لأنه يشبهها

---

(١) راجع : ابن حيان ، قطعة من المقتبس ، نشر شالميتا ، جـ٥ ، مدريد ١٩٧٩م ، ص ٨٧ ــ ٨٨ ، عبد العزيز سالم ومختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، جـ ٢ ص ١٧٥ ، كمال أبو مصطفى ، التاريخ السياسى للجزيرة الخضراء ص ٤٥٢ ــ ٤٥٣ ، محمد أبو الفضل ، تاريخ مدينة المرية الأندلسية ، الاسكندرية ١٩٨١ م ، ص ٥٦ ــ ٥٧ ، كاسامار ، نفسه ص ٣٣ ، مون شاك ، نفسه ص ٨٤ ، ــ Robles, op cit , p 327. I Balbas, Atara Zanas hispano musul Al-andalus, vol XI, 1946, p. 187.

(٢) انظر : عبد العزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس ص ٢٢٢ ، مون شاك ، نفسه ص ٨٤ ، غرانوورولس ، الفن المدجنى فى مالقة ص ٣٩ ، Ency of Islam, Art, Malaga, p. 188 وجدير بالذكر أن الباحث الاسبانى روبلس يشير إلى أن دار صناعة مالقة تقع حاليا فى الموضع المعروف بالسوق الحديث (El moderno mercado) Robles op cit , p 327

ويذكر العمرى أن دار صناعة مالقة اختصت بانشاء الحراريق والمراكب والمعروف أن الحراريق (جمع حراقة) وهى مراكب حربية وظيفتها احراق سفن العدو بالنفط راجع : (العمرى ، وصف أفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٧ ، سالم والعبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية جـ ١ ص ١٢٤ ، درويش النخيلى ــ السفن الاسلامية على حروف المعجم ، دار المعارف ١٩٧٩ م ص ٣٢)

(٣) انظر : ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٢٦٦ ،
Torres Balbas, ciudades, t. I, p 219, Robles, op cit , p 327.

فى الهدوء والعزلة وكثرة الخضرة (١) ، فيذكر ابن الخطيب ان القاضى عياض بن محمد اليحصبى توفى بمالقة سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ — ١٢٣٣ م) وروضته بها فى جنة كانت له بربضها الشرقى » (٢) .

ومن أهم مقابر مالقة مايلى :

١ — مقبرة جبل فارة :

وتسمى أيضا بجبانة جبل فاره ، وهى المقبرة الرئيسية بها ، وكانت تقع عند سفح جبل فاره شرق مالقة ، ودفن بها العديد من القضاة والفقهاء منهم القاضى محمد بن الحسن النباهى الذى توفى بغرناطة سنة ٦٢١ هـ وسيق منها إلى مالقة ودفن بالمقبرة المذكورة ، وكذلك الفقية داود بن سليمان بن حوط الله الانصارى الذى توفى فى سنة ٦٢١ هـ » ودفن بسفح جبل فاره فى الروضة المدفون بها أخوه أبو محمد » (٣) .

٢ — مقبرة فنتاله :

تعتبر من المقابر الهامة فى مالقة ، وكانت تقع إلى الشمال الشرق من مالقة خارج باب فنتالة بالقرب من الربض المسمى بنفس الاسم . ويذكر ابن الابار أسماء عدد كبير من الفقهاء والعلماء دفنوا بتلك المقبرة (٤) . كذلك نلاحظ انه

---

(١) راجع ابن الآبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، تحقيق حسين مؤنس ، ص ٦٧ ، جيمس ديكى ، ملاحظات على فن فلاحة البستان العربى فى الأندلس ، ضمن بحوث الدورة الخامسة للحلقات الأندلسية ، ديسمبر ، مالقة، ١٩٦٦ م ، ص ١٣ .

(٢) انظر : الاحاطة ، مجلد ٤ ، ص ٢٢١ . وجدير بالذكر أن الأندلسيين كانوا أحيانا يضطرون إلى دفن موتاهم بتربة عند أبواب منازلهم خصوصا فى أوقات الفتن والحروب أو عند تعرض المدينه للحصار انظر (ابن بشكوال ، الصلة ، ق ٢ ، ص ٢٧٠ ، ترجمة رقم ٧٩٠) .

(٣) انظر النباهى ، تاريخ قضاة الأندلس ص ١١٢ ، ١١٣

(٤) انظر التكملة لكتاب الصلة ، جـ ١ ، طبعة القاهرة ، ص ٢٣٢ ، ترجمة رقم ٦١٨ ،
Balbas, ciudades t. I, p. 277

كان يقع خارج باب فنتالة مصلى للجنائز اعتاد أهل مالقة الصلاة فيه — على موتاهم قبل دفنهم إما في مقبرة فنتاله أو مقبرة جبل فاره [١].

٣ — مقابر أخرى :

ا تذكر المصادر الإسلامية والمسيحية أسماء مقابر أخرى ثانوية بمالقة احداهما مقبرة المصلى ربما لوقوعها قرب مصلى العيد أو الشريعة) والأخرى هي روضة بني يحيى، كما وجدت روضة (مقبرة) ثالثة مجاورة لمنية السيد وفيها دفن السلطان محمد بن اسماعيل بن نصر سنة ٧٣٣ هـ [٢]. كذلك تذكر المصادر الإسبانية المسيحية اسم مقبرة لليهود كانت تقع عند سفح جبل فاره على مقربة من حي اليهود الذي يقع في الجهة الشرقية من المدينة كما سبقت الإشارة [٣].

ومن ناحية أخرى تم الكشف حديثا عن بعض المدافن في مالقة ، وذلك في الجهة الشمالية من هضبة مارموياس Marmuyas بمالقة يرجع تاريخها إلى القرن الثالث أو الرابع الهجرى (التاسع أو العاشر الميلادى) ، كما عثر على قبر بجوار صهريج في الموضع سالف الذكر ، والغالب أن المدافن كانت لأناس من ذوى الجاه والثراء والنفوذ ،كذلك عثر على مدفن وعديد من القبور في موضع آخر من الهضبة المالقية [٤].

ومن الملاحظ أن شواهد القبور المنسوبة إلى الشخصيات ذات الأهمية كانت تصنع من ألواح الرخام [٥]، كما كانت تزدان بزخارف نباتية وتوريقات [٦]،

---

(١) انظر الاحاطة ، مجلد ٣ ، ص ٢٤٢ Robles, op cit . p 327

(٢) انظر ابن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ١ ص ١٦٦ ، ٥٤١

(٣) Torres Balbas. Mozarabias y Juderias, al Andalus. IX, p 197, Balbas. Ciudades. T I, p 277

(٤) Excavaciones en los montes de malaga, p 130, Torres Balbas, ciudades, t, I, p 277

(٥) انظر ابن الابار ، التكملة جـ ١ ، طبعة القاهرة ص٨٤، ترجمة رقم ٢٢١

(٦) انظر ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ ٢ ، ص ٢٦٧

من أمثلة ذلك شاهد قبر عثر عليه ربما يرجع إلى القرن ٦ هـ / ١٢ م ، نقش عليه « كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجور كم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » ، هذا قبر محمد بن يوسف المعروف بأعروس توفى رحمه الله ... (بياض) عبده ورسوله أرسله ... (بياض) » (١).

(١) Lévi - provençal, Inscripations arabes d'Espagne, Paris, 1931, p. 179

الفصل الثانى

بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى مالقة الاسلامية

تمهيـــــد :

كان ينزل بمالقة فى العصر الاسلامى أخلاط مختلفة من السكان ، فمنذ عصر الولاة (٩٥ ـــ ١٣٨ هـ) استقر بها جند الأردن الشاميون ، كما سكنها الكثير من الأنصار ، وجماعات من مذحج ،وغسان وجذام ولخم ومخزوم ، وبنو هاشم القرشيين الذين ينتسب اليهم بنو حمود الأدارسة أصحاب مالقة فى عصر دويلات الطوائف ، كذلك توافدت على مالقة فى عهد بنى حمود اعداد كبيرة من البربر والسودان ، كانوا يفدون من بلاد المغرب ومعظمهم من المحاربين الذين تولوا مهمة الدفاع عن مالقة خلال عصر الطوائف (القرن ٥ هـ/ ١١م)، وكانوا يقيمون بقصبة جبل فاره مقر الحكم ، وعلاوة على ذلك وجد بعض أهل الذمة من اليهود والنصارى المستعربين (نصارى الذمة)[٢] .

---

(١) فى الحقيقة أن دراسة التاريخ الاجتماعى أو مصدر الحياة الاجتماعية فى المجتمعات الاسلامية تعد من أكثر الدراسات التاريخية والحضارية صعوبة ، فالباحث فى مثل تلك الموضوعات لايظفر فى المصادر الا باشارات شديدة الايجاز لاتساعد على رسم صورة متكاملة لحياة المجتمع وأفراده والنشاط الاجتماعى الذى كانت تزخر به المدن الاسلامية ، وعلى هذا فان حديثنا عن مظاهر الحياة الاجتماعية فى مالقة يتخذ فى أغلب الأحيان صفة العمومية ، لأن المظاهر الاجتماعية فى جميع المدن الأندلسية تكاد تكون متشابهة ، خاصة وأن معظم الاشارات التى وردت بالمصادروتتعلق بالحياة الاجتماعية يمكن أن تطبق على كل مدن الأندلس دون تحديد مدينة بالذات ، ومن ناحية أخرى فانها إذا اختصت بمدينة ما فى الأندلس فيمكن أن تنطبق على غيرها من المدن الأندلسية . راجع (سحر سالم ، مظاهر الحضارة فى بطليوس الاسلامية ، رسالة دكتوراه غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية ١٩٨٧ ، ص ٢٤٣ ، ٢٨٤) .

(٢) راجع حول عناصر السكان فى مالقة . ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ص ٢٠١ ، الحميدى ، جذوة المقتبس ص ٣٤ ، ابن بشكوال ، الصلة ق ١ ، القاهرة ١٩٦٦ م ص ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٣٣ ، ٢٠٠ ، ق ٢ ص ٤٥٨ ، ٥٧٩ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٦١ ، التكملة ، جـ ١ ، ص ١٠ ، ٣٥ ، ٢٥٨ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، جـ ٢ ، ص ٦٤١ ، =

ولاشك أن اختلاط الاجناس وتعدد العناصر السكانية والطوائف التى يتألف منها البناء البشرى للمدينة كان له تأثيره الواضح والكبير على الحياة الاجتماعية ومظاهرها داخل تلك المدينة [1] . وفيما يلى عرض عام لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى مالقة :

أولا ــ الأسرة والحياة العائلية :

(ا) الزواج والطلاق والعلاقات الأسرية :

أشارت كتب الفتاوى والنوازل الفقهية إلى وجود الخاطبة فى بلاد الأندلس والمغرب ، وكانت تقوم بالتمهيد للاتفاق بين المتقدم للزواج وأهل العروس ، فيذكر الونشريسى انه عقب ذلك يرسل الخاطب والده وأخوته وبعض أقاربه ومن تقبل شهادتهم إلى دار والد العروس للاتفاق على كل مايتصل بعقد النكاح خاصة من ناحية مطالب والد العروس من صداق وهبة وهدية وماشابه ذلك . ويضيف الونشريسى أن الخطبة كانت تتم ــ عادة ــ بالتواعد على الايجاب والانعقاد بتوقيت زمان يحضره الشهود وينبرم فيه الأمر [2] .

وبعد انتهاء فترة الخطوبة يتم عقد القران بكتابة وثيقة نكاح ــ غالبا ــ لدى صاحب خطة المناكح ، ويفضل الكثيرون أن يكون عقد الزواج [3] فى

= ٧٦٢ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٧٣ــ ٢٧٤ ، المقرى ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ ، حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ ، Levi-provençal, Histoire, III, pp. 170, 177, Guichard, Al-andalus, Barcelona, 1976, p. 4

(١) انظر : سعيد عاشور ، الحياة الاجتماعية فى المدينة الاسلامية ، ص ٨٥ ، محمد عبدالستار ، نفسه ، ص ٢٢٧ــ٢٢٨ .

(٢) انظر : الونشريسى المعيار المعرب ، جـ ٣ ، ص ١٢١ ، ١٩٠ ، ٢٤٨ .

(٣) يتضح من الوثائق الاندلسية أن عقد الزواج كان يبدأ بالبسملة والصلاة على رسول الله وبيان أهمية النكاح بالاسترشاد بآية من القرآن الكريم ، ثم يكتب عقب ذلك اسم الزوج ، واسم الزوجة ووالدها ، وكانوا يحرصون على تسجيل أنها فى حجر والدها بالغ فى سنها صحيحة الجسم وليس بها موانع للنكاح ، كما يوضح ما إذا ــ كانت بكرا أم ثيبا ، ويذكر مقدار الصداق الذى قبضه والد الزوجة ، وما سيدفع منه مؤجلا وموعده ، كما كانوا يهتمون بأن يتضمن العقد مايؤكد أن الزوج =

أحد المساجد جلبا للبركة (١) . وكان السائد فى الأندلس بعد كتابة العقد وقبل الزفاف أن يقوم أهل العروس بدعوة الزوج إلى منزلهم لتناول الطعام مع أهل البيت من آن لآخر على سبيل المودة وتوطيد العلاقة (٢)، ويذكر الخشنى أن بعض الأندلسيين كانوا يحرصون على رؤية زوجاتهم قبل البناء بهن أى أثناء فترة الخطوبة (٣).

وهناك عدة ملاحظات على عقود الزواج الأندلسية نلخصها فيما يلى :

١ — أن الزوجة — خصوصا إذا كانت تنتمى إلى أسرة ثرية ذات نفوذ — كانت تشترط أحيانا على زوجها فى عقد النكاح « استجلابا لمودتها وتقصيا لمسرتها الا يتزوج عليها ولايتسرى معها ولايتخذ أم ولد، فان فعل شيئا من ذلك فأمرها بيدها » كذلك كانت الزوجة تشترط فى العقد ألا

= يمتاز بالعفة والصلاح وعموم النفع . ويختمون العقد — عادة — بذكر عبارة : « انعقد هذا العقد وتم وكمل منه الغرض والقصد ، تزوجها بكلمة الله العلى العظيم وسنة رسوله الكريم .. وعلى امساك بمعروف أو تسريح باحسان ويحسن صحبتها وتجمل عشرتها ، وله عليها درجة أنكحه اياها بأذنها ورضاها ثم يكتب أسماء الشهود ويؤرخ العقد باليوم والشهر والسنة ، انظر (وثائق عربية غرناطية ، نشر وتحقيق سيكودى لوثيا ، المعهد المصرى بمدريد ، ١٩٦١ ، ٨ — ٩ ، ١٠٤ — ١٠٦) .

(١) انظر : ابن عبدون ، رسالة فى القضاء والحسبة ، ص ١٣ ، سعيد عاشور ، الحياة الاجتماعية فى المدينة الاسلامية ص ١٠٢

ويتضح مما ذكره الونشريسى أن القاضى هو الذى كان يقوم بتقديم أو تعيين صاحب خطة المناكح ، الذى كان عليه « إذا جاءه رجل يطلب عقد نكاح امرأة أن يعرف بأنها غير ذات زوج ولا فى عدة منه وأن لا ولى لها أو لها ولى غائب وأن الزوج كفوها ... » ونلاحظ أن صاحب خطة المناكح إذا كان يأخذ راتبه من بيت المال فلايجوز أخذ أجرة عن كتابة عقد الزواج ، وأن لم يكن له راتب فجائز أخذ الأجرة ، وتكون على الزوجين أو أحدهما حسب الاتفاق بينهما . انظر (المعيار جـ ٣ ، ص ١١٠ — ١١١، ١١٥) ويضيف ابن عبدون أن خطة المناكح « لاتعطى الا لرجل فقيه ورع ولايكون شابا ممن يريد القاضى أن ينعشه بذلك » انظر (رسالة فى القضاء والحسبة ، ص ١٣) .

(٢) انظر : الونشريسى ، المعيار جـ ٣ ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٣) انظر : قضاة قرطبة ، نشر الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ص ١٨ . والملاحظ أن مذهب مالك اجاز النظر إلى الوجه والكفين فقط . (ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، بدون تاريخ ، ص ٤) .

يغيب عنها زوجها غيبة متصلة أكثر من ستة أشهر الا فى أداء فريضة الحج عن نفسه فان له فى تلك الحالة الحق فى المغيب عنها ثلاثة أعوام على أن يوفر لها قبل سفره نفقتها وكسوتها وسكناها وفى حالة تأخره عن هذين الاجلين أو احدهما فأمرها بيدها بعد أن تحلف فى بيتها بمحضر شاهدى عدل يعرفانها بأن الزوج غاب عنها أكثر مما شرطه لها (١) .

٢ ـــ كان ينص أحيانا فى العقد على ألا يرّحل الزوج زوجه عن دارها الا بإذنها ورضاها ، وأن رحلها مكرهة فأمرها بيدها ، وألا يمنعها عن زيارة جميع أهلها من النساء وذوى محارمها من الرجال ، والا يمنعهم من زيارتها ، وأن يعاملها بالمعروف كما أمره الله تعالى (٢) .

٣ ـــ فى حالة تمتع الزوج بالثراء كانت الزوجة تشترط عليه فى العقد أن يوفر لها خادمة تساعدها فى القيام بأعباء الشئون المنزلية (٣).

٤ ـــ كانت موافقة الزوجة على من يتقدم لها زوجا تكون بصمتها ، وهذا يعتبر دلالة الموافقة والقبول ، أما اليتيمة ـــ فالعرف السائد فى الأندلس والمغرب ـــ أنه إذا غلبها البكاء ولم تصمت فهذا عدم موافقة منها على الزواج وبذلك لايتم النكاح لأن اليتيمة عند المالكية (مذهب أهل الأندلس والمغرب) لاتنكح الا بإذنها كما كانوا فى الأندلس يحرصون على ألا تزوج اليتيمة ذات الوصى قبل بلوغها (٤) .

٥ ـــ فى بعض الحالات النادرة كان العبد يتزوج من إحدى الحرائر ، وفى عقد الزواج كان لابد من ذكر اسم العبد وموافقة سيده ، الذى يذكر اسمه

(١) راجع، ابن العطار ، كتاب الوثائق والسجلات ، نشر شالميتا وكوريطى ، مدريد ١٩٨٣ ، ص ٧ ـــ ٨ ، الونشريسى ، نفسه جـ ٢ ص ١٧ .

(٢) ابن العطار ، نفسه ص ٨ ، الونشريسى ، نفسه جـ ٢ ص ١٠٨ ـــ ١٠٩

(٣) ابن العطار ، نفسه ، ص ٨ Levi - Provencal, Histoire, t. III, p. 400

(٤) ابن العطار ، نفسه ص ١١ ، ١٣ ، ابن رشد ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٥ ، الونشريسى نفسه جـ ٢ ص ١٣٦ .

أيضا ، ومقدار الصداق ، والقابض له سواء الأب أو الوصى لكى يقوم بتجهيز العروس ، وكان يشترط فى رضاها النطق بالموافقة بمحضر شهود ولايجبرها والدها على ذلك والملاحظ أن الذرية التى يتجبها هذا العبد من « احرار فقراء المسلمين ينفق عليهم من بيت المال أن لم يجدوا من ينفق عليهم »(1) .

٦ — كان مقدار صداق الزوجة الثيب عادة أقل من صداق البكر ، وكان الزوج — أحيانا — يدفع الصداق لزوجه عينا بمعنى أن يوفر لها الكسوة اللازمة ويشترى لها بعض الحلى ، كما اعتاد معظمهم من ذوى الثراء أن يهب زوجة قبل الزفاف بستانا أو دارا أو أحد العقارات ، كل واحد قدر استطاعته »(2) .

وبعد أن يتم عقد القران يشرع أهل الزوجة باعداد الجهاز أو الشوار ، وجرى العرف فى الأندلس أن تتجهز الزوجة إلى روجها بمقدار النقد من صداقها ، وفى بعض الأحيان كان والد العروس يطلب من روج ابنته قبل الزفاف أن يضمن جهاز العروس وذلك بأن يكتب وثيقة ضمان له ، وهناك من الآباء من يميل إلى الفخر والمباهاة بجهاز ابنته والمبالغة فى ذلك بأن يخرج الأب فى الجهاز بعض الاثاث والملابس من ماله الخاص على سبيل الاعارة ، ليراه الناس ثم يسترده بعد ذلك — أى عقب الزفاف — من بيت ابنته ، وكثيرا مانجم عن ذلك مشكلات عائلية بسبب اعتقاد الزوج أن هذه الأشياء المعارة تدخل ضمن شوار عروسه ، غير أن تلك الخلافات كانت تحل عن طريق العرف الجارى فى البلد (3) .

كذلك جرت العادة فى البوادى والقرى فى بلاد الأندلس والمغرب أن يقوم الزوج بتقديم هدية لزوجه قبل الزفاف جلباً لسرورها ، وكان يطعم من تلك

(1) انظر ابن العطار القرطبى ، الوثائق والسجلات ، ص ١٤ — ١٦ .

(2) انظر الونشريسى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ .

(3) الونشريسى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٦٦ .

الهدية أهل العروس والأقارب [١] . وبعد أن ينقل الجهاز إلى بيت الزوجية يتفق على موعد الزفاف وحفل العُرس ، حيث كان الزوج يتكفل بكل نفقات هذا الحفل من اعداد وليمة لأهل العروسين واحضار المغانى والراقصات وضاربى الدفوف وما إلى ذلك [٢] ويمدنا الونشريسى أيضا باشارات قيمة عما يحدث فى حفل الزفاف ، فيذكر أن أهل الأندلس والمغرب اعتادوا فى تلك الليلة اقامة وليمة ضخمة تسمى وليمة النكاح يدعى اليها الأهل والأصدقاء ، وكان يحرص على حضور هذا الحفل بعض الفساق الذين يجلبون معهم الخمر ، وبعض النساء سيئات السمعة ، كما يجتمع فى تلك الليلة أهل الموضع من الرجال والنساء فوق أسطح الدور وفى الطرقات لمشاهدة حفل العرس [٣] .

ويستنتج المستشرق ليفى بروفنسال — من خلال بعض النوازل والفتاوى الأندلسية — أن السلطة كلها داخل البيت كانت بيد الاب ، وكانت الزوجة وأطفالها يعاملونه بكل الاحترام والتبجيل ، كذلك لم يكن الرجل من الطبقة الوسطى أو العامة يستطيع الزواج بأكثر من واحدة ، لأن الزواج بأخرى كان يتطلب نفقات باهظة لايستطيع أن يقوم بها الا ذوو الثراء ، وفى بعض الأحيان

(١) انظر : الونشريسى،نفسه،حـ٣، ص ٩٢ ، ١٤٥ .

(٢) انظر : المعيار ، جـ ٣ ص ٢٥٢ ، سعيد عاشور نفسه ص ١٠٣ . ويورد الحميدى نصا طريفا يصف فيه عرسا بأحد شوارع قرطبة ، فيذكر أن « الكورى الزامر قاعد فى وسط الحفل وفى رأسه قلنسوة ، وعليه ثوب خز عبيدى وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه وهو يزمر فى البوق » وأثناء الحفل ينشد الشعر ويغنى المغنى . انظر : (جذوة المقتبس ص ١٤٣ — ١٤٤ ترجمة رقم ٢٤٤ ،
Lévi-Provençal, Histoire, t, III, p. 404.

(٣) انظر : المعيار حـ ٣،ص ٢٥٠ — وعن حفلات العرس ومايحدث فيها من سكر وعربدة — راجع أيضا : ابن عبدون ، رسالة فى الحسبة ص ٥٤) ويتضح مما ذكره الونشريسى أن نساء الأندلس أعتدن فى ليلة الزفاف أن يطلين أجسادهن ووجوههن ببعض الاصباغ للزينة واظهار الجمال (المعيار حـ٣، ص ٢٥٢) ، ومن ناحية أخرى يشير ابن خاقان إلى أن الزوج الثرى فى الأندلس كان يبنى بزوجه أحيانا فى احدى المنيات حيث الهدوء وجمال الطبيعة وكل مايبعث السرور فى النفس

انظر : (مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس ، طبعة القسطنطينية ، ١٣٠٢ هـ ، ص ٢٨) .

يعمد الزوج إذا كانت لديه أموال فائضة تزيد على احتياجه إلى شراء جارية [1] (من الصقالبة أو السودان) أو أكتراء خادمة ، وكانت الجارية أو الخادمة تشارك فى جميع الأعمال المنزلية وتتكيف تماما مع الوسط العائلى [2] .

وكان رب البيت فى الأندلس — كما فى المشرق الاسلامى — يحرص على احاطة بيته بالسرية التامة ، فيستقبل ضيوفه — عادة — فى غرفة استقبال تنفتح مباشرة على رواق مدخل الدار أو على الشارع بعيدا عن حجرات الحريم ، لتجنب التعرف على أسرار البيت [3] وكان المحتسب من جهته يعمل على منع النساء (خصوصا الجوارى والخدم ومن ينتمى إلى طبقة العامة) من الوقوف على أبواب الديار لما فيه من الكشفة وعدم الاستتار » [4].

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن الجوارى كن نوعين : الأول جوارى الخدمة وهن اللاتى يعملن فى القصور والدور لقضاء الحاجات المنزلية ، وكن غالبا ممن جاوزن مرحلة الشباب ولايصلحن للتسلية والمتعة ، والفرع الآخر يسمى جوارى اللذة وكن يتمتعن بثقافة عالية واجادة للشعر وفن الغناء والموسيقى والرقص علاوة على الجمال الحسى ، وهن يستخدمن فى التسلية وجلب المتعة لأسيادهن

راجع (الحميدى ، نفسه ، ص ٤٣ ، ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٣ مجلد ١ ، ص ٣٢ صلاح خالص ، اشبيلية فى القرن الخامس ص ٩٧ ، سحر سالم ، مظاهر الحضارة فى بطليوس ، ص ٢٥ — ٢٥٣ .

Guichard, Al-Andalus, pp 165 166

(٢) انظر : سعيد عاشور ، نفسه ص [illegible]

Lévi Provençal, op cit t. III pp 399 400 Huici Mi[illegible]nda, Historia musulmana de [illegible]alencia t. I pp 64 65

(٣) من الملاحظ أن الحياة داخل البيوت الأندلسية كانت تسير بإيقاع ثابت ، فهى تبدو فى عزلة عن العالم الخارجى ، وكان أهل البيت ينتظرون اليوم الذى يسمح لهم فيه بالخروج فى الهواء الطلق ، كالذهاب إلى الحمام أو المقابر أو زيارة أسرهن ، لمشاهدة مظاهر الاحتفال بالأعياد المختلفة ، فقد ألمح الونشريسى إلى بعض النوازل التى أثيرت بسبب رغبة بعض النساء فى الاكثار من الذهاب إلى الحمامات أو لزيارة أمهاتهن مما أحدث مشكلات بين الزوجين غير أنه يمكن القول أن المرأة الأندلسية كانت تتمتع بنصيب من الحرية أكثر مما حظيت به مثيلتها فى المشرق — راجع (المعيار ، جـ ٢ ص ١٣١ ، سحر سالم ، نفسه ، ص ٢٤١ — ٢٤٣ ، ٢٥٠ — ٢٥١ .

Lévi-Provençal, op cit , t. III, pp 401 402 G[illegible]chard, op cit, pp 147 148

(٤) انظر : ابن عبد الرؤوف ، رسالة فى الحسبة ، ص ٨٧

وتشير الوثائق الغرناطية إلى أن اثاث البيت فى مملكة غرناطة (القرن ٩هـ/ ١٥م) كان فقيرا للغاية ، فهو يتكون من طيافير (أى أطباق عميقة) ومرفعات (دواليب صغيرة) وصندوق لحفظ الملابس ومراتب ومخدات للنوم والجلوس ، وسجاجيد وأبسطة للحماية من برد الأرضية [١] ، غير أن ابن بشكوال يصف لنا مجلسا فى طليطلة (فى القرن الرابع أو الخامس الهجرى) يتصف بالفخامة والتأنق فيقول : « والمجلس فرش ببسط من الصوف مبطنات والحيطان باللبود من كل حول ومسائد الصوف ، وفى وسطه « كانون » فى طول قامة الانسان مملوءا فحما يأخذ دفئه كل من فى المجلس » [٢] .

ومن الثابت أن المرأة فى طبقة العامة كانت إلى جانب عملها الأساسى فى تدبير شئون المنزل وتربية أطفالها ، تقوم بمساعدة زوجها فى كسب العيش ، فتذكر كتب الحسبة أن العديد من النساء الأندلسيات — ومن بينهن نساء مالقة — كن يشتغلن فى غزل الصوف وبيعه فى سوق الغزل [٣] .

كذلك يشير ابن الخطيب إلى أن بعض نساء مالقة كن يذهبن إلى المسجد لتلقى العلم وطلب الفتوى من العلماء وأئمة المساجد [٤] . كذلك كان أهل

---

(١) انظر : وثائق عربية غرناطية ، نشر وتحقيق سيكودى لوثيا ص ١٩ ، ٢٣ م

(٢) انظر : الصلة ، ق ١ ، ص ٣٧ ترجمة رقم ٧١ ومن الملاحظ أن بيت العروس الثرية كان يزود عادة بالأوانى المذهبة والمفضضة والبلورية ، علاوة على قوارير الطيب والادهان والمكاحل والأمشاط وعلب العاج التى تخصص لحفظ الحلى وأدوات الزينة انظر (الونشريسى ، جـ٣ ، ص ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ٢٤٩ ، عبدالعزيز سالم . صور من المجتمع الأندلسى ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ٧٦ — ١٩٧٨ ص ٦١)

José Ferrandis, Marfiles de Occidente, t. I. Madrid, 1925, p 65

(٣) انظر : ابن عبد الرؤوف ، نفسه ص ١١٣ ، الخشنى . قضاة قرطبة ص ٢٥ . ابن الخطيب . الاحاطة ، مجلد ١ ص ٣٢٥

(٤) انظر : الاحاطة ، مجلد ٣ ص ٩٢ ، محمد عيسى ، تاريخ التعليم فى الأندلس ، دار الفكر العربى . القاهرة ، ١٩٨٢ م ص ٣٦٩ ، حوليان ريبيرا . التربية الأسلامية فى الأندلس . ترجمة الطاهر مكى ، دار المعارف . ١٩٨١ ، ص ١٦٠ وجدير بالملاحظة أن المرأة الاندلسية كانت تقوم أحيانا بدور المعلم لاخواتها من النساء ، وأبرز مثال على ذلك مريم بنت أبى يعقوب الشلبى=

الأندلس يهتمون بتعليم أطفالهم ، حيث يقوم الأب أحيانا بمهمة تأديب وتعليم أطفاله فى منزله ومن أمثلة ذلك أن الفقيه يوسف بن الشيخ المالقى (٥٢٦ــ ٦٠٣هـ) ــ وكان من علماء اللغة والأدب ، وضع لابنه « كتاب ألف باء » ليعلمه ويؤدبه ، وهذا الكتاب كان أشبه بموسوعة جامعة لفنون الثقافة العامة رتبت مواده على حروف المعجم ، غير أنه فى الغالب كان الأب يرسل ابنه لحفظ القرآن الكريم وتلقى بعض علوم اللغة العربية على يد القراء وأهل العلم إما فى المساجد أو الكتاتيب أو فى دورهم نظير أجر معين يتفق عليه [1] .

ويتضح من الوثائق الأندلسية أن بعض الآباء كانوا ــ يقومون أحيانا بالتصدق على أبنائهم ــ لوجه الله تعالى ــ بعقارات (مثل حوانيت ودور وبساتين) ، وفى هذه الحالة كان لابد من كتابة وثيقة يذكر فيها اسم المتصدق والمتصدق عليه (أو ــ المتصدق عليهم إذا كانوا أكثر من واحد) ، وتحديد موقع العقار المتصدق به تحديدا دقيقا [2] . كذلك كان بعض أهالى مالقة يقومون بحبس الجنان أو البساتين والعقارات على بناتهم لتوفير حياة كريمة لهن بعد وفاتهم ، ويستعن بعائدها على المعيشة أو تجهيز أنفسهن عند الزواج فى حالة وفاة الآباء [3] .

---

* (عاشت باشبيلية فى القرن ٥هـ/ ١١م) وهى أديبة شاعرة كانت تعلم النساء الأدب . انظر (الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٤١٢ ترجمة رقم ٩٨٦) .

(١) راجع : ابن الأبار ، التكملة جـ ١ ص ٥٤٤ رقم ١٤٧٢ ، أحمد شلبى، التعليم والتربية عند المسلمين ، ص ٥١ ، سعيد عاشور ، الحياة الاجتماعية ص ١٠١ ، جونثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٧٩ .
Lévi-Provençal, Histoire, t. III, pp 407 408

(٢) راجع التفاصيل : ابن العطار ، الوثائق والسجلات ص ٢١١ ــ ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ــ ٢٢٣

(٣) انظر : الونشريسى ، نفسه، جـ ١٠ ، ص ٢٦٩ ــ ٢٧٠ ، كمال أبو مصطفى، الأحباس فى الأندلس، ص ٥٢ ، وجدير بالذكر أن السائد فى الأندلس فى حالة وفاة الأب وزواج الأم عاد حضانتها لطفلها (أو لأطفالها تسقط ، وترجع حضانته إلى أحد أوليائه من أقارب الأب ، وكان ابن ورب

وتفيدنا كتب النوازل والفتاوى الفقهية بأن من واجبات المحتسب فى الأندلس المحافظة على اسلام صغار المسلمين من الأمهات النصرانيات [1]، وأن العمل جرى بالأندلس على ألا يحال بين الصبى الذى يعتنق الاسلام وبين حاضنة أبا كان أو أما فاذا وصل مرحلة البلوغ « عرض عليه الاسلام ، فان تمادى عليه والا ضرب وردد عليه الضرب حتى يتمادى على الاسلام » [2].

ومن الملاحظ أن المرأة الأندلسية كانت تتعرض لكثير من الاضرار خلال عصر دويلات الطوائف بسبب طول فترة غياب الازواج أو فقدانهم فى ميادين القتال ، خاصة وأن هذا العصر شهد العديد من الحروب الداخلية والفتن والثورات ، ومن هنا ظهرت بعض النوازل المتعلقة بـ [الحي]ـاة الأسرية ، فيتضح من احدى الفتاوى أن المرأة التى يفقد زوجها منذ عام فى أرض الاسلام ، ولم تتحقق حياته من مماته كانت تقوم برفع مشكلتها إلى القاضى ، الذى كان يقوم بدوره بالتثبت من حضور المفقود (أى الزوج) فى صف القتال أو غيابه وانقطاع أخباره ، فاذا تأكد من ذلك أجله سنة عن يوم يثبت ذلك عنده ، فان تمت السنة ولم يسمع له خبر ، اعتدت زوجته وقسم ماله بين ورثته ، وجاز لامرأته الزواج بعد أربع سنوات من فقدانه [3].

وتفيدنا احدى النوازل الأندلسية أيضا أن المرأة كانت تطلق إذا عرّضها زوجها للفجور، فبعد أن يتأكد القاضى — من شهود عدول — من فساد زوجها

= الفقيه القرطبى يقضى بذلك ، وفى حالة وفاة الأب كان لابد من اقامة وصاية على أبنائه الأيتام الصغار عند القاضى .

راجع تفاصيل ذلك فى : (المعيار جـ ٤ ص ٤٣ ، وثائق عربية غرناطية ص ٣ — ٤)

(١) انظر : الونشريسى ، نفسه جـ ٢ ص ٢٤٧ .

(٢) الونشريسى ، نفسه جـ ٢ ص ٣٥٤ . راجع تفاصيل النوازل المتعلقة بذلك فى : (ابن سهل الأندلسى ، وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس، تحقيق محمد خلاف، ص ٣٣ ، ٨٦ ، الونشريسى ، المعيار جـ ٢ ص ٢٤٧ — ٢٤٨)

(٣) راجع : ابن العطار ، نفسه ، ص ٥٣١ — ٥٣٢ ، ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ، ص ٤٥ ، الونشريسى ، المعيار ، جـ ٣، ص ٣٣٨ — ٣٣٩

وعدم أمانته عليها وأنه يصاحب الفجار ولايعلم له مستقر ولا مال ، كان يحكم بتطليقها منه لسوء معاشرته لها والضرر البين فى دينها وحالها وتعريضها للفساد [1] .

(ب) مناسبات الولادة والوفاة :

تعتبر الولادة من المناسبات العائلية الهامة ، خاصة فى دور الخاصة من ذوى الجاه والثراء ، وكانت الولادة — عادة — تتم على يد احدى القوابل [2] وكان المولود يلقى اهتماما بالغا من قبل الأسرة ، وتزداد الفرحة إذا كان ذكرا [3] .

وكان المعتاد فى الأندلس فى تلك المناسبة السعيدة ارسال الأصدقاء ببعض القطع النثرية أو الأبيات الشعرية لأهل المولود للتهنئة بمقدمه ، ومن أمثلة ذلك رسالة نثرية للأديب غانم بن وليد المالقى (عاش فى القرن ٥ هـ/ ١١م) يهنىء صديقا له بغرناطة بمولود انجبه فيقول : « ... ومما اغفلته بقلة اليقظة وسألت الله الا تكتب على الحفظة تهنئتك بالفارس المولود والفرع المودود والنجم السعيد الذى تطلع فى أفق سمائك » [4] .

---

(١) انظر : الونشريسى نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٣٢ — ٤٣٣ . ويتضح من وثائق الطلاق الأندلسية أنها تبدأ بذكر اختلاع أى طلاق الزوج لزوجه ، ويذكر اسماهما ، وأحيانا كانت المطلقة تبرىء زوجها (طليقها) من نفقه العدة ومؤخر الصداق نظير أن يتنازل لها عن حضانة الأبناء أو البنات ، وكان الأب يقوم بالانفاق على أبنائه وبناته إلى أن تسقط النفقة بزواج البنات ، وتختم وثيقة الطلاق بذكر أسماء الشهود ، ثم تؤرخ باليوم والشهر والسنة راجع (وثائق عربية غرناطية ، ص ٥٩ — ٦٠)

(٢) انظر : الجرسيفى ، رسالة فى الحسبة ، ص ٢٣ .

(٣) انظر : سعيد عاشور : نفسه ، ص ١٠٣ .

Lévi Provençal, Histoire, t. III, p. 404

(٤) انظر : ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ مجلد ٢ ، ص ٨٥٥ . ومن أمثلة التهنئة أيضا بالمولود قول محمد ابن أحمد الانصارى الاشبيلى لأحد أصدقائه :

أصاخت الخيل آذانا لصرخته ... واهتز كل هزبر عندما عطسا

تعشق الدرع مذ شدت لفائفه ... وأبغض المهد لما أبصر الفرسا

انظر (المقرى ، نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٧١ ، ٤٠٨) .

وفى اليوم السابع للولادة كان المولاد يسمى ويكنى وتقص أول خصلة من شعره ويقوم والده باعداد وليمة فخمة تسمى العقيقة ، يدعو اليها الأقارب والأصدقاء ، فيتناولون أشهى الأطعمة والحلوى والفاكهة ابتهاجا بتلك المناسبة السارة ، وكان الطفل يتم ختانه أو اعذاره — غالبا — فى العام السابع ، وهى أيضا مناسبة عائلية وفرصة لتجمع الأهل والأقارب ، فيدعوهم الأب إلى وليمة وحفل يطلق عليه فى الأندلس اسم حفل الاعذار الذى تأنق امراء وخلفاء الأمويين وملوك الطوائف فى الاحتفال به والانفاق ببذخ عليه كما يتم اغداق الأموال والأعطيات على الشعراء والأدباء لالقائهم القصائد الشعرية الملائمة للمقام ، وتفتح أحياناً أبواب القصور للعامة حيث تمد إليهم الأسمطة لتناول الطعام (١).

أما مناسبات الوفاة فكان يغلب عليها البساطة ، ويذكر ابن سهل انه عند وقوع وفاة فى منزل ما كان أحد أفراد أسرته يخرج مرتديا ملابس الحداد البيضاء — على عادة الأندلسيين — منذرا لجنازته والاستعداد للصلاة عليه (٢) ، ومن ناحية أخرى يشير ابن بشكوال إلى أنه بعد غسل جثمان المتوفى كان يتم تكفينه ببعض الأردية ويوضع فوقها قطن يبخر ببعض البخور ،

---

(١) حول مظاهر الفرح بالانجاب وختان الأبناء — راجع : ابن عمر ، أحكام السوق، تحقيق محمود مكى، ص ١١٩ ، ابن عذارى ، البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٠٨ — ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، سعيد عاشور ، نفسه ص ١٠٣ — ١٠٤ ، حمدى عبد المنعم ، مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الأموية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، نوقشت بآداب اسكندرية ١٩٨٤ ، ص ٤٩٧ — ٤٩٨ ؛

Lévi - provençal, Histoire, t. III, p 406

وتشير الرواية الاسبانية المسيحية إلى أن الموريسكيين الذين ظلوا على اسلامهم سرا فى ظل الحكم المسيحى ، احتفظوا بتلك العادات الاسلامية ، فكانوا يحتفلون بمولد الطفل ، ويدعون بتلك المناسبة ذبيحة تسمى العقيقة، ويكتبون على جبهة المولود بعض الكلمات ، ويعلقون الأحجبة التى تتضمن آيات قرآنية ويسمى المولود باسم اسلامى ، كما يجرى له الختان فى اليوم التاسع لمولده ثم أصبح فيما بعد فى العام التاسع انظر (هورتز وبشت ، الموريسكيون ، ترجمة عبد العال صالح ، دار الاشراق ، الدوحة ، ١٩٨٨ ص ١١٤) .

(٢) انظر وثائق فى أحكام القضاء الجنائى فى الأندلس مستخرجة من الأحكام الكبرى . تحقيق محمد خلاف ، ص ٩٣ .

ويضيف أن بعض الزهاد والصالحين كانوا — أحياناً — يوصون ذريتهم بأن يكفنوهم دون قطن ، وهذا كان يعتبر على غير عادة الأندلسيين [1] ، ويفيد ابن حيان بأنه فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ — ٢٧٣هـ) أحدثت زوجته فينان تضميخ نعوش من توفى من أمراء بنى أمية بالغالية [2].

وكان يتم دفن المتوفى — غالبا — فى أقرب المقابر إلى داره ، وفى بعض الأحيان كان المتوفى يوصى قبل وفاته بنحت شاهد من الحجر ينصب فوق قبره ، وينقش عليه اسمه وبعض الآيات القرآنية أو الاشعار للموعظة والاعتبار ، ودعوة المارة بالترحم على صاحب القبر ، ويتضح مما أورده ابن الخطيب انتشار اعادة كتابة بعض الأبيات على القبور بمالقة فى عصر بنى نصر [3].

ويذكر الونشريسى أن من بدع أهل الأندلس والمغرب البكاء على الميت بالصراخ ولطم الخدود ، واجتماع النساء لذلك ومعهن النوادب والنوائح [4] وأيضا الجهر بالذكر على صوت واحد أمام الجنازة رغم أن السنة فى اتباع

---

(١) انظر : الصلة ، ص ٢٩٦ ، ترجمة رقم ٨٤٩

(٢) المقتبس ، تحقيق محمود مكى ص ٢١٣ ، ٢١٤

(٣) من أمثلة ذلك أن أحمد بن أيوب اللمائى المالقى (كاتب بنى حمود) أمر بأن يكتب على قبره بعض الأبيات ومنها

هيا زائراً قبرى أوصيك جاهدا … عليك بتقوى الله فى السر والجهر

فلا تحسبن بالدهر طبا فإنما … من الحزم الا يستنام الى الدهر

انظر (ابن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ١ ، ص ٢٣٥ ، مجلد ٤ ص ٤٢٦) وراجع أيضا المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٤ ص ٤٠٢ ، جـ ٦ ، ص ١١٨ — ١١٩

Lévi provençal, Histoire, t. III, pp 406 - 407.

(٤) انظر : الجرسيفى ، رسالة فى الحسبة ص ١٢١ ، ابن عبد الرؤوف ، نفسه، ص ٧٦ ، ٧٧ . الونشريسى ، نفسه ، جـ ٦ ، ص ٤١٩

الجنازة الصمت والتفكر والاعتبار [1] ، ويضيف أن هناك بدعة أخرى وهى احداث الناس بتلك البلدان مايسمى بسابع الميت ، حيث كان أهل المتوفى يهتمون بهذا اليوم بالاكثار من قراءة القرآن على قبره ، وكانت بعض النساء تبالغن فى ذلك ولايفارقن القبر لمدة سبعة أيام ، ويعدون طعاما للقراء فى هذا اليوم [2] (أى سابع أيام الوفاة) .

ثانياً — أهم الفئات والطوائف الاجتماعية بمالقة وصور من حياتهم اليومية :

من الطبيعى أن تزخر الاسواق والشوارع فى مدينة ساحلية عامرة آهلة بالسكان مثل مالقة بالعديد من الفئات والطوائف الاجتماعية التى كان لكل منها نشاطها سواء الاقتصادى أو الاجتماعى أو الثقافى أو غير ذلك من الأنشطة والأعمال التى تمارس — عادة — فى المدن الاسلامية سواء فى المشرق أو المغرب الاسلامى .

وتمدنا كتب الحسبة الأندلسية بمعلومات وافرة عن تلك الفئات ونشاطها خاصة فى الأسواق والطرقات والشوارع وعلى مستوى الحياة العامة فى المدينة ومن أبرز تلك الفئات أو الطوائف فى مالقة : **الفقهاء** ، الذين لعبوا دورا مهما وخطيرا فى معظم فترات العصر الاسلامى فى الأندلس ، فتذكر المصادر أن بعضهم كان يتمتع بالثراء والحياة الرغدة علاوة على الصلاح والتقوى ، والبعض الآخر اتهم بالرشوة وعدم الأمانة ، فيشير النباهى المالقى إلى أن الفقيه محمد بن الحسن الجذامى (قاضى مالقة فى عصر الطوائف) كان يقيم فى أحد القصور ويتفرغ لمدة يومين أسبوعيا لتفقد أملاكه والنظر فى مصالحه الخاصة وهو ممن اشتهروا بالعدل والحزم والكرم ، حيث كان « يصنع الدعوات الواسعة ويحضرها شيوخ وقته من الفقهاء والأماثل فيوليهم اكراما ويوسعهم اطعاما » .. ويضيف النباهى أن هذا القاضى لم يكن « يأخذ على القضاء رزقا

(1) الطرطوشى ، الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الطالبى ، تونس ، ١٩٥٩ م ، ص ١٤٢ ، الونشريسى ، نفسه جـ ٢ ، ص ٢٧٢ ، ٥١١ .

(2) انظر : المعيار ، جـ ٢ ص ٥٠٩

من بيت المال مدة حياته ... لكثرة ماله »[1] ، كذلك هناك الفقيه ابن لب المالقى الذى كان يتمتع بالثراء ، وأوقف معظم مكتبته على جامع مالقة ، وتصدق بالكثير من أمواله على الفقراء والمحتاجين فى بلده مالقه[2] .

غير أنه وجد الفقهاء من ضعاف النفوس ، الذين خضعوا لاغراء المال واتهموا بعدم النزاهة خاصة فى عصر الطوائف نتيجة للتمزق الاجتماعى الذى ساد ـــ هذا العصر ، وكثرة الفتن والحروب الداخلية الطاحنة وعدم الاستقرار ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر ابن الطراوة المالقى يذم فقهاء بلده مالقة (أواخر القرن الخامس الهجرى) ويتهمهم بالرشوة نظير الترخيص فى فتاواهم :

إذا رأوا جملا يأتى على بعد   مدوا اليه جميعا كف مقتنص
إن جئتهم فارغا لزوك فى قرن   وأن رأوا رشوة أفتوك بالرخص[3] .

كذلك كان باعة الخبز من الفئات التى لها دور حيوى فى الأسواق والشوارع لاتصالهم بقوت الناس الأساسى ، ويوضح السقطى (محتسب مالقة) الكثير من عملهم ووسائل غشهم فى مدينته مالقة ، فيذكر أن باعة الخبز كان أغلبهم يمتاز بالخداع والغش ومن ذلك « أنهم يخلطون الطيب مع اللطيف ويبيعون الجميع بسوم الطيب الذى قد رسمه عليهم المحتسب » ويتضح أيضا مما أورده السقطى أن هناك بعض النساء كن يقمن بعمل خبز يزيد عن حاجتهن ويبعنه فى الأسواق ، وأن الغالب فى مدن الأندلس شراء الخبز من الخباز يوميا أو يشترى من باعة الخبز الذين يجلسون فى حوانيت خصصت لهم

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٩٠ ـــ ٩٣ .

(٢) الاحاطة ، مجلد ٣ ، ص ٨١ ، ريبيرا ، المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا الاسلامية ، ق ٢ ، ص ٩١ .

(٣) انظر : ابن الابار ، المقتضب ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصرى ، ١٩٨٢م ، ص ٦٤ .

بالسوق . وكان المحتسب وأعوانه من الأمناء أو العرفاء يتولون مراقبة الأفران وباعة الخبز ، حيث كان للخبز وزن وسعر محددان [1] .

أما النخاسون فيصفهم السقطى المالقى بأنهم « قوم خطبهم جليل وأمرهم ليس بالمختصر ولا القليل ... ويأتى مفسدوهم بما لايقتض الشرع ولاتقره نفس مؤمن » [2] .

وكان لتجار الرقيق سوق خاص بهم فى أغلب المدن الأندلسية ومن بينها مالقة ، وكان يديره سماسرة ونخاسون يجلبون الرقيق من أوروبا المسيحية وبلاد المغرب والسودان ، وكان سوق الرقيق يخضع لاشراف ومراقبة المحتسب وأعوانه ، ورغم هذا كله فقد كان تجار الرقيق يقدمون على ارتكاب الغش والتدليس ، ومن وسائلهم فى ذلك : تحمير خدود الجوارى وتغيير لون البشرة واخفاء النمش والوشم ونحو ذلك ، وتطييب رائحة الفم وجلاء الاسنان ، وغيرها كثير ، كما أن بعضهم من أهل الفساد والفسق يبعث بالجوارى إلى منازل أصحاب الثراء فى مالقة للخلوة بين نظير مبلغ من المال [3] .

---

(١) انظر : السقطى ، آداب الحسبة ، نشر كولان وبروفنسال ، باريس ١٩٣١ م ، ص ٢٠ ، ٣١ ، ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ص ٩٠ ،

Derek Latham, Some observations on the Bread trade in muslim Malaga, pp. 111 - 114.

ومن الملاحظ فى هذا الصدد أن بعض الأهالى كانوا يقومون بتجهيز العجين فى بيوتهم وارساله إلى الخباز أو الفران لانضاجه وكان صاحب الفرن يأخذ أجرته نقدا أو عينا أى قطعة من العجين المجهز ، ثم يجمع تلك القطع فى آخر اليوم ويصنعها خبزا ينضجه ويبيعه فى السوق .

راجع (السقطى ، نفسه ص ١١ ، ٢٦ ، ٣٠ — ٣١ ، الخشنى ، قضاة قرطبة،ص ٦٤ ، ليفى بروفنسال ، نفسه ، ص ٩٠ ؛

Dereklatham, op cit , p 111.1°

ومن ناحية أخرى كان صاحب الفرن (الخباز) يستخدم بعض العمال الذين كانوا يتقاضون أجورا محددة ومنهم الدقاق الذى يغربل الدقيق والسماح أو العجان لاعداد العجين وتقطيعه ، والفران الذى يقوم بانضاج الخبز فى الفرن ..

انظر : (السقطى، نفسه ، ص ١٠ ، صلاح خالص ، نفسه ، ص ٥٥ ؛

Derek Latham, op cit , p 115).

(٢) انظر : السقطى : نفسه ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) انظر : السقطى ، نفسه ، ص ٤٨ — ٤٩ ، ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٩٣

وهناك طائفة العطارين التى كان لها مجال عمل كبير فى المدن الأندلسية ، فيذكر السقطى : « أن شغلهم أوسع الاشغال ، وأمورهم مختلفة الأحوال ، والكشف عنهم صعب المرام ، وغش مفسديهم لايكاد يحصر ولايرام ... » فكان معظمهم يغش مواد العطارة مثل الحناء والزعفران والمسك والعنبر والقرفة وغير ذلك ، بأن يضيفوا اليها مواد أخرى شبيهة يجمعونها من المناطق الجبلية الصحراوية المجاورة مما يصعب على العامة كشفها ، ولذا كان المحتسب يقدم على العطارين « فى سوقهم من تعلم ثقته ودينه ومعرفته وبصره بالعقار » وهو مايسمى بالأمين لمساعدة المحتسب فى كشف وسائل غشهم وتدليسهم ، كما كان المحتسب يأمر طائفة الصيادلة والعطارين بعدم خلط عقار أو عمل معاجين وأشربة وأدهان الا بمحضر الأمين عليهم [1] .

أما القصابون (باعة اللحم) فكانوا يقومون بشراء الماشية حية من أسواق الدواب أو من القرى المجاورة للمدينة ، وكانت الماشية تذبح فى مذابح تقام عادة خارج السور،للمحافظة على نظافة المدينة،ثم يقوم الحمالون بنقل اللحوم إلى حوانيت القصابين،إما على أكتافهم أو على الدواب ، تحت اشراف المحتسب حتى لايتعرض المارة بالشوارع والأسواق للضرر بما يتطاير من الدم ، كما كان المحتسب يأمر القصابين بعدم خلط لحم الابقار مع لحم الضأن أو الماعز عند البيع [2] .

وهناك بعض الفئات التى يتعلق عملها بصناعة المنسوجات والملابس ، ومنهم القصارون الذين يقومون بتبييض الثياب ، وكان المحتسب يلزمهم بألا

= وحول تفاصيل كيفية بيع الرقيق والنوازل المتعلقة بذلك ــ راجع : ابن العطار ،الوثائق والسجلات، ص ٣٣ ، ابن سهل الأندلسى ، وثائق فى الطب الاسلامى مستخرجة من الأحكام الكبرى ، تحقيق محمد خلاف ،الكويت، ١٩٨٣ ، ص ١٦ ، ٣٢ ، ٥١ ــ ٥٣ ، ٧٧ ــ ٧٨ ، الونشريسى،نفسه، جـ ٦ ، ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧) .

(١) انظر : آداب الحسبة ، ص ٤١ ــ ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥

(٢) انظر السقطى ، نفسه ص ٣٢ ــ ٣٤ ، ٦٧ ، ابن عبدون ، رسالة فى القضاء والحسبة،ص ٤٧ ، ليفى بروفنسال ، نفسه،ص ٩١

يلبسوا ثوبا يعطى لهم للقصارة ، ولايلبسوه أحدا ، وأن يتقنوا تبييض الثياب ، وعدم جمعها وهى مبتلة لأن هذا يؤدى إلى فسادها وعفنها ، كما كان يمنع الرفائين أن يرفوا خرقا فى ثوب لقصار الا عن موافقة صاحبه ، ويأمر الصباغين بعدم صبغ الأحمر بالبقم لأنه لايثبت ، كذلك كان على الطرازين ألا يغيروا رسم ثوب عند قصار [1] .

ومن الطوائف الاجتماعية والحرفية الأخرى : الحصارون والقفاقون والحدادون الذين يبيعون المسامير ويصنعون المفاتيح [2] ، والكنافون الذين يقومون بحمل مافى الكنف بواسطة أكواب واسعة وكان المحتسب يأمرهم بتغطيتها وأن يحمل كل كوب اثنان منهم ، ويكون بيد أحدهما جرس لإنذار الناس ، حتى لايحدث أضرار أو أذى للمارة [3] .

وهناك أيضا الحمالون الذين يعيشون على نقل البضائع داخل المدينة وكان لهم موقف يتجمعون فيه يرجح أن يكون بالسوق ، ويتصل بتلك الفئة الخدمة المستأجرون الذين كانت لهم ساعات عمل يحددها المحتسب ، وتبدأ من شروق الشمس حتى مابين العصر والمغرب [4] . كذلك تشير كتب الحسبة إلى فئة تسمى بالحطابين كانوا يشتغلون ببيع الحطب على دوابهم ، ويمنعهم المحتسب من حمل الحطب فى الأسواق والشوارع الضيقة منعا لإيذاء المارة وتمزيق ثيابهم [5] .

ويشير السقطى إلى وجود طائفة فى بلده مالقة تسمى كُتاب الشوارع (أو كُتاب الوثائق) ، وهم يتخذون مقارهم بالشوارع الرئيسية والأسواق وعند المساجد وأبواب المدينة ، وكان المحتسب يأمرهم « ألا يكتبوا سب أحد

---

(١) السقطى نفسه ، ص ٦٣ .

(٢) السقطى ، نفسه ، ص ٦٥ .

(٣) انظر : السقطى ، نفسه ، ص ٦٧ ، ابن عبدون ، ص ٣٨

(٤) السقطى ، نفسه ص ٦٥ ، ابن عبدون نفسه ، ص ٤٢ ، ٥٦ ، الونشريسى ، نفسه ، جـ ٨ ، ص ٢٦٨ ، ليفى بروفنسال ، نفسه ، ص ٩٢ .

(٥) ابن عبدون ، نفسه ، ص ٣٨ ، الونشريسى ، نفسه ، جـ ٦ ، ص ١٦٧ .

ولا هجوه ، ولا ماتضمن سماية للسلطان .. » ، ويتصل بتلك الطائفة معلموا الصبيان أو المؤدبون ، وكان محتسب مالقة يلزمهم باتخاذ أماكنهم فى « الشوارع العامرة بالناس وأصحاب الحوانيت ولايستخدموا ولدا فى شيء من أمورهم » كما كان عليهم مراعاة وقت غذاء هؤلاء الصبيان وحثهم على إقامة الصلوات معهم [1] .

ويشير السقطى إلى مطابخ عامة كانت قائمة فى مدينته مالقة خاصة فى الأسواق ومناطق ازدحام الناس ، وكان المحتسب يلزم الطباخين بأن « يطبخوا فى حوانيت مجصصة مسطحة يتمكن من غسلها فى كل الأوقات ، ويشرف على أعمالهم أمين ثقة يتأكد من نظافة مطبوخاتهم ، ويتضح من المصادر أيضا وجود حوانيت أو مطاعم لبيع الأطعمة الجاهزة التى يتناولها الناس داخل الحوانيت أو يأخذونها إلى دورهم [2] .

ولاشك أن شوارع مالقة ورحباتها حفلت بالعديد من الباعة الجائلين الذين كانوا يمارسون نشاطهم فى الدروب والأزقة والشوارع والطرقات وأمام المساجد ، بسبب عدم وجود حوانيت لهم داخل السوق أو القيسارية ، وكان بعضهم يحمل بضاعته على الأكتاف أو على الدواب ، ويمتد نشاطهم إلى كل أنحاء المدينة [3] .

ونستنتج من المصادر العربية وجود فئة العرافين فى المجتمعات الأندلسية فهناك فى كتب الحسبة وازجال ابن قزمان القرطبى مايفيد بتردد الأندلسيين على المنجمين أو العرافين ، الذين يقومون بقراءة الكف وكتابة الأحجبة وماشابه دلك ، كذلك كانت الأسواق والشوارع فى مالقة — وغيرها من

(١) السقطى ، نفسه ، ص ٦٨ ، ابن عبدون ، نفسه ص ٢٥ ويذكر الونشريسى انه من المعتاد فى الأندلس والمغرب أن يقوم الأب باستئجار معلم أو مؤدب على أن يقوم بتعليم أبنائه لمدة سنة نظير أجر معين يتفق عليه ، وفى حالة عدم اكمال الابن السنة ، فان من حق المؤدب الحصول على أجرة السنة كلها (المعيار جـ ٨ ص ٢٣٦ ، ٢٥٢) .

(٢) انظر : السقطى ، نفسه،ص٣٥ — ٣٧ ، ابن عبد الرؤوف ، رسالة فى الحسبة،ص٩٦ — ٩٧ .

(٣) انظر : ابن عبدون،نفسه،ص ٢٢ ، ٤٣ ، ٥٣ ، محمد عبد الستار ، نفسه ص ٢٠٢ .

المدن الأندلسية — لاتخلو من بعض المضحكين والحواة والقرادين ، الذين يعرضون ألعابهم فى الأماكن المزدحمة ، لتسلية الناس واضحاكهم ، نظير بعض المال ، يقومون بجمعه منهم عقب انتهائهم من ألعابهم [١] . وجد بعض القصاص الذين كانوا يروون للناس سير الأبطال وقصص الأنبياء والملوك والأمم الماضية [٢] .

وهناك بعض الطوائف الحرفية التى لايتركز عملها — عادة — الا فى خارج أسوار المدن أو على ضفاف الأنهار ، بعيدا عن العمران والسكان ، حتى لايتسببوا فى الإضرار بالناس ، ومن أمثلة ذلك الدباغون والفخارون والزجاجون والجيارون وباعة الفحم [٣] .

والثابت أن المدن الأندلسية كانت تضم أيضا بين أهلها جماعات من أهل الذمة (من اليهود والنصارى المستعربين) الذين عاملتهم السلطات الإسلامية بكثير من التسامح ، فلم يكن مسموحا للمسلم أن يكسر خمر الذمى ، وإن فعل ذلك — تعرض للعقاب [٤] ، وكان القاضى أو المحتسب يلزمهم — أحيانا — بارتداء زى معين أو وضع قطعة نحاس فى رقابهم أو صبغ أطرافهم تميزا لهم عن المسلمين ومن ناحية أخرى سمح لهم ولاة الأمر فى المدن الأندلسية بممارسة جميع أنواع النشاط الاقتصادى فى حرية تامة [٥] .

---

(١) انظر : السقطى : نفسه ، ص ٦٧ ، ابن عبد الرؤوف ، نفسه،ص ١١٢ — ١١٣ الجرسيفى ، نفسه،ص ١٢٢ ، عبد العزيز الاهوانى ، على هامش ديوان ابن قزمان ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، ٧٦ — ٧٨ ، ص ٤٧ ، ليفى بروفنسال ، نفسه،ص ٩٢ .

(٢) انظر : ابن عبد الرؤوف ، نفسه ، ص ١١٣ .

(٣) انظر : السقطى ، نفسه،ص ٦٣ ، ٦٧ ، ابن عبدون ، نفسه،ص ٢٧ ، ٢٨ ، ليفى بروفنسال ، نفسه،ص ٩٢

(٤) ابن عبد الرؤوف ، نفسه ، ص ٩٥ ، الجرسيفى ، نفسه ، ص ١٢٢ .

(٥) ابن عبدون ، نفسه ، ص ٥١ ، الونشريسى نفسه، جـ ٢ ص ٢٥٤ — ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، سعيد عاشور ، نفسه ، ص ٩٦ — ٩٧ .

Lévi - Provençal. Histoire, t. III, p. 429, N.1.

ومن الطبيعي ألا تخلو الحياة اليومية من بعض المشاحنات بين الجيران فتفيد احدى النوازل الفقهية أن أحد الجيران كان يؤذى جاره والناس بلسانه ، ويثير الوقيعة بينهم ، وثبت ذلك بشهادة عدول من جيرانه ، فأفتى الفقهاء بأن يحبس ثلاثة أيام تأديبا له ، ويعطى الحق فى أن يدفع عن نفسه ما اتهم به ، فان عجز ، يكف شره عن جيرانه ببيع داره أو بكرائها ، وابعاده إلى الربض ، لأن هذا من الضرر الذى يوجب ابعاده عن المسلمين ، كما يجب تأديبه بالسوط على قدر ذنبه وخوضه فى أعراض الناس والجيران [1] .

ثالثا — الاحتفالات والأعياد :

(ا) الاحتفالات والأعياد والمواسم الإسلامية

احتفل المسلمون فى الأندلس بالعديد من الأعياد والمناسبات الدينية ومن أهم هذه الاحتفالات والأعياد : عيد الفطر ، الذى يبدأ — كما هو معروف — فى غرة شوال عقب نهاية شهر رمضان ، حيث كان يخرج القاضى وكبار الفقهاء فى المدينة لاستطلاع هلال شوال واعلان انتهاء شهر الصوم ، غير أنه كان يحدث — أحيانا — الاختلاف بين قضاة الأقاليم أو المدن حول رؤية الهلال [2]

وفى يوم عيد الفطر يستقيظ الناس — عادة — فى الصباح الباكر ، فيتجهون إلى المصلى خارج المدينة من كل باب من أبوابها لأداء صلاة العيد ، ويذكر الطرطوشى أنهم كانوا يصحبون معهم النساء والأطفال ، وينصبون الخيام على مقربة من المصلى ، لمشاهدة مظاهر الفرحة بالعيد [3] .

---

(١) انظر الونشريسى ، نفسه ، ج ٢ ص ٤٦ — ٤٧

(٢) راجع ابن حيان ، قطعة من المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٢٨ . حمدى عبد المنعم ، مجتمع قرطبة ، ص ٥٠٨ ، سحر سالم ، مظاهر الحضارة فى بطليوس ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جـ ١ ص ٢٥٥ .

(٣) انظر الحوادث والبدع ، ص ١٤١ ، مختار العبادى ، الاسلام فى أرض الاندلس ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ١ ، عدد ٦ الكويت ١٩٧٩ ص ٣٩٠ — ٣٩١ ، سعيد عاشور ، نفسه ص ٩٩ — ١ ، أحمد الطوخى ، مظاهر الحضارة فى مملكة غرناطة ، رسالة دكتوراه غير منشورة بوقف بآداب الاسكندرية ، ١٩٧٨ ، ص ٨٩

وكان الناس يحرصون على ارتداء الثياب الجديدة يوم العيد ، واستخدام العطور أو الطيب كما كانت النساء تحرص على الزينة بتكحيل العيون والتخضب بالحناء ، وارتداء أفضل الملابس والتحلى بالذهب والحلى . وعقب الصلاة يتجهون إلى المقابر لزيارة موتاهم والترحم عليهم [1] ، كما تخرج الخادمات والجوارى أو المربيات بأطفال أسيادهن للتنزه ومشاهدة مظاهر العيد ، ويلمح الونشريسى إلى أنه من البدع المستحسنة فى بلاد الأندلس والمغرب قول الرجل للآخر فى العيد : « تقبل الله منا ومنك وغفر لى ولك » [2]

ويفيدنا ابن قزمان فى ارجاله بأن الأعياد كانت فرصة للشعراء والأدباء لمدح الأمراء والأثرياء وأهل الكرم لنيل اعطياتهم السخية ، كما كانت تكثر فى تلك الأعياد الاسلامية أعمال الخير والبر والصدقات على الفقراء والمحتاجين ، ويتبادل الأقارب والأصدقاء التهانى والزيارات العائلية ، وتقوم الأسر — عادة — بالتنزه إما على ضفاف النهر أو فى الرملة ، وتعم مظاهر الفرحة والبهجة جميع أنحاء المدينة [3] ، غير أن ابن قزمان فى أحد ازجاله يشير إلى أن اقبال العيد يقترن بالغلاء وارتفاع الأسعار نتيجة لشدة الاقبال على شراء احتياجات الأسر فى مثل تلك المناسبات الهامة [4] .

أما عيد الأضحى الذى كان يحتفل به فى العاشر من شهر ذى الحجة ، فلم يكن يختلف عن عيد الفطر فى الاعلام بقدومه ومظاهر الاحتفال به ، فبعد أداء صلاة العيد وزيارة المقابر يعود الناس إلى منازلهم ، لذبح الأضحية التى تعتبر من أهم مظاهر الاحتفال بهذا العيد ، وكان الأغنياء والفقراء على حد سواء

= Lévi provençal, Histoire, t, III, p. 437 & Fernando de la Granja, Fiestas Cristianas en Al Andalus Revista de Al Andalus, vol XXXIV, 1969, p. I

(١) انظر : ابن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ٢ ، ص ٥٠١ ، ليفى بروفنسال ، الشعر العربى الشعبى فى أسبانيا ، ضمن سلسلة محاضرات عامة ص ٣٢

(٢) المعيار ، جـ ٢ ص ٤٦١

(٣) ليفى بروفنسال ، نفسه ، ص ٣٢ Lévi provençal, Histoire t III p 437

(٤) انظر الاهوانى ، على هامش ديوان ابن قزمان ، ص ٥٩

يحرصون على المشاركة فى تلك الضحية[1]، ويتضح ذلك من بعض ازجال لابن قزمان ، الذى يفيدنا أيضا بأن الأسر الأندلسية مهما كان مستواها المعيشى تهتم بشراء كبش الضحية ، ومعظمهم كان يتظاهر باتباع السنة ، غير أن الهدف فى حقيقة الأمر من وراء الأضاحى ادخال الفرح والسرور على أهل البيت[2] .

وعلاوة على الاحتفال بعيدى الفطر والأضحى ، كان أهل الأندلس والمغرب يحتفلون ببعض المناسبات الدينية ومن أهمها : عيد المولد النبوى الشريف (فى الثانى عشر من ربيع الأول) ، الذى لم يبدأ الاحتفال به الا فى عصر متأخر (حوالى أواخر القرن ٧ هـ / ١٣ م) ، ويعتبر — كما يذكر الونشريسى — من أعياد المسلمين ، وأحد مواسمهم ، فيتزينون بما حسن من الثياب ويركبون فاره الدواب ، ويكثرون فى تلك الليلة من ايقاد الشموع اظهارا للفرح بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن جهة أخرى يشير الونشريسى إلى أن هذا الاحتفال لم يسلم من البدع ، ومنها إعداد أطعمة فى المولد النبوى ، واختلاط الرجال والنساء واستعمال آلات اللهو عند الاجتماع فى تلك الليلة، وأن كان يكثر فى هذا اليوم التصدق على الفقراء والتوسعة على الأبناء فى الطعام[3] ، كما أن بعض الناس كانوا يوصون بجزء من أملاكهم لإقامة ليلة

---

(١) راجع حول الاحتفال بهذا العيد فى الأندلس : ابن حيان ، قطعة من المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، ص ١٣٦ — ١٣٧ ، ليفى بروفنسال ، الشعر الشعبى ضمن سلسلة محاضرات عامة ص ٢٣ ، هورتز وبنشت ، الموريسكيون ، ص ١١٣ ، سعيد عاشور ، نفسه، ص ٩٩ — ١٠٠ ، حمدى عبد المنعم ، نفسه ، ص ١١٠ — ٥١١ ، سحر سالم ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٥٦

(٢) يقول الطرطوشى فى ضحية العيد « ورجع الناس يتنافسون فى الضحية للافتخار لا للسنة ولا لطلب الأجر بل لاقامة الدنيا » انظر (الحوادث والبدع ، ص ١٤٢) ، ويشير ابن قزمان إلى نفس المعنى فى أحد ازجاله بقوله

كبش باسم الضحية يشتريه كل مرماد
هو ظاهر الله والقصد فرح الأولاد

انظر (بروفنسال ، الشعر الشعبى ، ص ٢٣ ، الاهوانى ، نفسه ، ص ٥٠)

(٣) انظر . الونشريسى ، نفسه ، جـ ١١ ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ، سحر سالم ، مظاهر الحضارة فى طليوس الاسلامية ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، العبادى ، الاسلام فى أرض الأندلس ، ص ٣٩١؛ سحر سالم نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨

Lévi – provençal, Histoire t III p 437

المولد النبوى ببلدهم [1] . كذلك احتفل أهل الأندلس بيوم عاشوراء ، وهو العاشر من المحرم (ذكرى مقتل الحسين بن عليّ سنة ٦١ هـ) ، والمرجح أن تلك المناسبة كان يحتفل بها فى عصر دولة بنى أمية فى الأندلس . ونظرا لأن هذا اليوم من أيام الحزن والحداد عند الشيعة ، فقد اتجه أهل السنة نكاية فيهم إلى الاحتفال به واظهار الفرح والسرور والتوسعة على الأبناء فى الأطعمة ، فيذكر الونشريسي انهم « يعدون طعاما معلوما لابد من فعله » فى تلك المناسبة [2] ، كما تشير الرواية الاسبانية المسيحية إلى أن الموريسكين استمروا يواصلون الاحتفال بيوم عاشوراء ، وكانوا يقومون بصومه [3] .

= ويذكر الونشريسى أن أول من أحدث الاحتفال بالمولد النبوى فى المغرب الاسلامى هو أبو القاسم العزفى صاحب سبتة فى أواخر القرن السابع الهجرى انظر . المعيار ، حـ ١١ ص ٢٧٩)

(١) انظر : المعيار ، حـ ٧ ص ٩٩ — ١٠٠ ، ١٠٢ — ١٠٣ ، كمال أبو مصطفى ، الاحباس فى الأندلس ، ص ٥٤

(٢) المعيار ، جـ ٢ ص ٤٨٩ حـ ١١ ص ٢٨٠ ، محمود مكى ، التشيع فى الأندلس ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، عدد ٢ سنة ١٩٥٤ ، ص ١٧٧ — ١٧٨

Lévi - provençal, op cit., III, p 436, N 1.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن الفقيه القرطبى عبد الملك بن حبيب (ت سنة ٢٣٨هـ) كتب إلى الأمير الأموى عبد الرحمن الأوسط يحثه على الاحتفال بيوم عاشوراء يقول

لا تنس — لا ينسك الرحمن — عاشوراء	واذكره لازلت فى الاحياء مذكورا
قال الرسول صلاة الله تشمله	قولا وجدنا عليه الحق والنورا
من بات فى ليلة عاشوراء ذا سعة	يكن بعيشته فى الحول محبورا
فارغب فديتك فيما فيه رغبنا	خير الورى كلهم حيا ومقبورا

انظر : (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٤٧ — ٤٨) .

ومن الملاحظ أن الرسول (ص) كان يحث المسلمين على صوم عاشوراء والتوسعة فيه على أهل البيت ، كما كان صيام يوم عاشوراء سنة عند اليهود لأنهم يعتبرونه اليوم الذى نجا الله تعالى فيه موسى عليه السلام من فرعون وجنوده ، فهو عندهم صيام شكر ، وعندما علم الرسول بذلك قال أنا أحق منكم بموسى وصامه ومازال سنة من يومه ذاك ، وروى عن أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : « من أوسع على عياله وأهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته »

انظر . (الامام المنذرى ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف حـ ٢ ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ٢٩ — ٣٠)

(٣) انظر : هورتز وبنشت ، الموريسكيون ص ١١٣ — ١١٤)

ومن المناسبات الدينية التى احتفل بها الأندلسيون . حلول شهر رمضان المبارك حيث كانوا يحتلفون بحلوله بأن يخرج القضاة والفقهاء وأئمة المساجد لاستطلاع هلال رمضان ، ويزخر هذا الشهر بمجالس الذكر والعلم . ويكثر القراء من تلاوة القرآن فى المساجد وتزداد العناية بانارة المساجد بالقناديل والثريات ، كذلك احتفلوا فى ليلة السابع والعشرين من رمضان بليلة القدر ، فيذكر ابن خاقان أن أهل الأندلس حرصوا على أحياء تلك الليلة المباركة بالذهاب إلى المساجد والاكثار من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن ، كما كانت تعقد فى تلك الليلة مجالس العلم فى الزوايا والأربطة التى تحفل بحلقات الذكر والموشحات الدينية [1] ، ويشير الطرطوشى إلى أنه من البدع احتماع الناس بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان » [2] .

وهناك مناسبة دينية أخرى احتفلوا بها تسمى الختمة ، وهى الليلة التى يتم فيها ختم القرآن الكريم ، وتكون — غالبا — فى نهاية شهر رمضان المبارك ، ويتضح مما ذكره المقرى انه فى ليلة الختمة كانت — العادة — الاكثار من انارة المساجد والجوامع بالشموع والقناديل واحراق كميات كبيرة من البخور [3]

كذلك حظيت ليلة النصف من شعبان باهتمام الأندلسيين ، فقد حث النبى ﷺ على صومها [4] ، ويصفها ابن عبدون الاشبيلى بأنها من الأيام العظام ، كما

---

(1) انظر : ابن خاقان ، مطمح الأنفس ص ١٧ ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ٢ ص ٤٩٩ ، عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، جـ ٢ ، ص ١١٧ — ١١٨ ، أحمد الطوخى مظاهر الحضارة فى مملكة غرناطة ، ص ٨٩ ويوضح المقرى مدى الاهتمام بجامع قرطبة فى ليلة القدر فيذكر أن ولاة الأمر يزيدون من عنايتهم بانارة الجامع وفرشه واطلاق البخور فى كل أرجائه احتفالا بتلك الليلة المباركة انظر (نفح الطيب جـ ٢ ص ٩١ — ٩٣)

(2) الحوادث والبدع . ص ١٤٠

(3) انظر نفح الطيب جـ ٢ ص ٨٨ ، الأهوانى . على هامش ديوان ابن قزمان ، ص ٣٠

(4) تعتبر ليلة النصف من شعبان من الليالى المباركة عند المسلمين . وقد أوضح الرسول فضل ليلة النصف من شعبان فى العديد من الأحاديث الشريفة ومن ذلك أنه روى عن على بن أبى طالب عن النبى ﷺ أنه قال إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا يومها فإن الله تبارك =

كانت من المناسبات التي يصدر فيها عفو من المسجونين في الأندلس [1]

وبالاضافة إلى الأعياد والمناسبات الدينية السابقة ، اهتم أهل الأندلس بالاحتفال ببعض المناسبات الاقليمية بمعنى أن كثيرا من مدن الأندلس كانت تحتفل بأعياد محلية . ومن أهم هذه الاحتفالات أو المناسبات في مالقة الاسلامية : الاحتفال بتصيب الخلفاء ، حيث كانت مالقة مركزا للخلافة الحمودية بجنوب الأندلس ، ولذا كان يحتفل فيها بتنصيب الخلفاء الحموديين . وكان الجاري في مثل تلك المناسبات ، اضفاء نوع من الزينة على المدينة وادخال السرور على أهلها بمد الأسمطة في قصر الخليفة ، واضاءة الشوارع والحوانيت وتزيينها [2] ونظم القصائد الشعرية في مدح الخليفة الجديد ، فمن ذلك قول الشاعر غانم بن وليد المالقي في ادريس العالي الحمودي عند اعتلائه عرش الخلافة بمالقة في سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ ـــ ١٠٤٣ م :

واستقبل الملك إمام الهدى ... في أربع بعد ثلاثينا
خلافة العالي سمت نحوه ... وهو ابن خمس بعد عشرينا
اني لأرجو يا إمام الهدى ... أن تملك الملك ثمانينا
لارحم الله امرءاً لم يقل ... عند دعائي لك آمينا [3]

وتعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا ، فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ، الا من مسترزق فأرزقه ؟ الا من مبتلى فأعافيه ؟ الا كذا الا كذا ؟ حتى يطلع الفجر » رواه ابن ماجه انظر (الامام المنذرى ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف جـ ٢ ص ٣٢)

(1) انظر : رسالة في القضاء والحسبة ص ١٨٠

Lévi provençal, Histoire, t. III, p 436, N 2.

(2) انظر : سعيد عاشور ، نفسه ، ص ١٠٠

(3) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، مجلد ٢ ، ٨٦٢ ، ابن الابار ، الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٧ وفي تنصيب الخليفة ادريس العالي يقول الشاعر ابن مقانا الاشبوني أيضا

وكأن الشمس لما أشرقت ... فانثنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن علي ... بن حمود أمير المؤمنين
حط الملك على أبوابه ... أدخلوها بسلام آمنين
ملك ذو هيبة لكنه ... خاشع لله رب العالمين

انظر : (الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٨ ، المقرى ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ ـــ ٢٠٣)

ومن الاحتفالات المحلية أيضا التى كان يحتفل بها أهل مالقة ومدن شرق الأندلس عيد العصير (بالاسبانية Alacir) وهو احتفال شعبى يقام عند جمع محصول العنب أو الزيتون ، وهما من المحاصيل الرئيسية فى مالقة ، فكان الأهالى ينتقلون إلى البساتين والحقول ، ويقيمون هناك عدة أيام حتى يجمع المحصول ويعصر بعضه وسط احتفال يسوده المرح والغناء والرقص ، كما كانت أيام العصير فرصا يعقد فيها الشعراء والأدباء مجالس الأنس يقومون خلالها بإلقاء القصائد الشعرية التى تصف ابتهاج الأهالى بعيد العصير [١]

ويشير المقرى — نقلا عن ابن سعيد — إلى احتفال شعبى آخر كان يقام فى قرية نارجة قرب مالقة (ومن أعمالها) ، بمناسبة صبغ الحرير ، فيذكر انه فى تلك المناسبة يقوم الأهالى بنصب الخيام فى بطن الوادى بموضع يسمى الطراز ، وأثناء العمل فى صبغ الحرير ، تسمع الأغانى وسط جو ملىء بالبهجة والسرور والمرح [٢].

(ب) الأعياد المسيحية :

من الملاحظ أن المسلمين فى الأندلس شاركوا النصارى المعاهدين (المستعربين) الذين عاشوا فى ظل الحكم الاسلامى — فى أعيادهم واحتفالاتهم ، وهذا من دلائل سياسة التسامح التى اتبعها المسلمون نحو أهل الذمة [٣].

ومن أهم تلك الأعياد المسيحية : عيد النيروز [٤] أو النوروز (عيد الربيع)

---

(١) انظر : ابن بسام ، نفسه ق ١ مجلد ٢ ص ٨٨٢ ، ابن الخطيب ، الاحاطة مجلد ٢ ص ٥٠٦ ، مختار العبادى ، الاسلام فى أرض الأندلس ، ص ٢٩١ ، عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة جـ ٢ ص ١١٧ ، أحمد الطوخى ، مظاهر الحضارة فى مملكة غرناطة ص ٩٢

(٢) انظر المقرى ، نفح الطيب جـ ١ ص ١٦٩ — ١٧٠ ، أحمد الطوخى ، نفسه ص ٩٢ .

(٣) راجع العبادى ، نفسه ص ٣٩١ ، سحر سالم ، مظاهر الحضارة فى بطليوس ص ٢٦٢ — ٢٦٣
Fernando De la Granja, Fiestas cristianas, p. 2

(٤) عيد النيروز من المؤثرات الفارسية الواضحة فى العصر العباسى الأول ، ويطلق عليه فى الفارسية

وكان أهل الأندلس يعتبرون الليلة السابقة عليه أنسب الأوقات للزواج ، ويعدون فيها خبزا على شكل مدن تحيط بها أسوار ، كما كان الناس يتهادون في عيد النيروز ، ويتبادلون التهنئة به — أحيانا — عن طريق بعض الأبيات الشعرية التي يبعثون بها إلى الأصدقاء [1] . ويمدنا العزفي باشارات قيمة عن مظاهر الاحتفال بهذا العيد في الأندلس والمغرب ، فيقول « واضافوا (أى أهل الأندلس والمغرب) للتحفى عنها (أى الأعياد المسيحية) بالسؤال والمحافظة عليها والاقبال من بدع وشنع ابتدعوها وسنن واضحة اضاعوها بموائد نصبوها لأبنائهم ونسائهم وصنعوها ... وتهادوا فيها بالتحف التى انتخبوها ... ونصب ذوو اليسار نصبات في الديار كما نصب أهل الحوانيت فنضدوها » [2] .

كذلك هناك عيد العنصرة وعيد المهرجان [3] ، ويرجع أيضا إلى أصول

= نوروز أى اليوم الجديد ، وهو عيد قديم من أعياد الفرس ، ورأس السنة الشمسية عندهم ، كما أنه عيد الربيع لأنه موافق لأوله . ويرى ليفي بروفنسال أن أهل الأندلس كانوا يحتفلون به يوم الاعتدال الربيعي ، فيذكر عريب بن سعد أن فصل الربيع يبدأ في بلدة الأندلس في السابع عشر من مارس . أما هنري بيريس فيحدده بأول يناير . ويعتبر الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق الأموي أول من رسم الاحتفال بالنيروز في الاسلام . راجع (عريب بن سعد ، كتاب الأنواء أو تقويم قرطبة ، نشر دوزى ، ليدن ١٨٧٣ م ، ص ٩٧ — ١٨ ، الحوادث والبدع ، ص ١٤٠ هـ ٥ ، حسين مجيب المصرى ، أثر الفرس في حضارة الاسلام ، ضمن دراسات في الحضارة الاسلامية، جـ١، ص ١٩٧ ، ١٩٨ ؛

Lévi - provençal, Histoire, III, p. 438 & Henri peres, la poesie Anda louse, paris, 1953, p. 303).

(١) مثال ذلك قول الشاعر عبد المعطى بن محمد (من شعراء عصر الطوائف) يهنىء أحد أصدقائه بالنيروز :

هو النيروز أملك للتهانى ... وللبشرى بمقتبل الزمان
فهنأك المهيمن ما حباه ... وتحبوه على ماء ودان

انظر (ابن خاقان ، مطمح الأنفس، ص ٩٨) .

(٢) انظر : العزفي ، الدرر المنظوم في مولد النبي المعظم ، نشر لاحرانجا ، مجلة الأندلس، ١٩٦٩ ، ص ٢٠ — ٢١ .

(٣) العنصرة أو المهرجان أو عيد سان خوان (عيد ميلاد يحيى بن زكريا عليه السلام عيد فارسى الأصل وعنهم أخذه النصارى ، واتخذه العرب أيضا موسما يحاكون فيه الفرس . ما احتفل به في الأندلس في الرابع والعشرين من يونيه . ويشير المسعودي إلى أنه في هذا اليوم (أى يوم المهرجان)

فارسية ، ويذكر الباحث الاسبانى لاجرانخا La Granja أن تلك الأعياد كانت تتسم فى الأندلس بصبغة دينية [1]، ويفيد الجرسيفى بأن السفلة والصبيان فى الأندلس اعتادوا فى هذا اليوم « رش الماء فى الأسواق والشوارع وتزليق الطرق واللعب بالمقارع والعصى فى الشوارع» [2] ، ويضيف الطرطوشى أن احتفال الأندلسيين بهذا العيد يعتبر من البدع خاصة وأنهم يحرصون فى تلك المناسبة على شراء المجبنات والاسفنج تشبها بالنصارى ، ويتضح أيضا من المصادر أنه فى هذا العيد كانت تعد أطعمة معينة فى كل منزل [3]، ويتهادى فيه الناس [4]، كما يذكر العزفى أن النساء كن يرششن بيوتهن بالماء يوم العنصرة ، ويلقين فى ثيابهن ورق الاكرنب ، ويغتسلن فى ذلك اليوم [5].

كذلك شارك المسلمون فى الأندلس النصارى المستعربين فى الاحتفال بيوم ميلاد المسيح عليه السلام (عيد الميلاد) ، وعيد يناير أو رأس السنة الميلادية وخميس أبريل (أو خميس العهد) ، وليلة العجوز (٦) ، وكانوا يقلدون

= تجتمع النصارى ويشعلون نارا كبيرة ويوقدون الشموع وتحضر جموع غفيرة من المسلمين لرؤية هذا المطر . راجع (عريب بن سعد ، نفسه ص ٦٥ ، المسعودى ، مروج الذهب جـ ٢ ، طبعه بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٢١٢ ، العبادى ، نفسه ، ص ٢٩١ ، عبد الله عفيفى ، المرأة العربية فى جاهليتها واسلامها جـ ٢ بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١٦٧ ، Lévi - provençal, Histoire, t, III, p 438

(١) La Granja, op. cit., p 2

(٢) انظر : رسالة فى الحسبة ص ١٢٤

(٣) الحوادث والبدع ، ص ١٤٠ — ١٤١ .

Lévi - provençal, op cit . t, III, p 438.

(٤) انظر ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ٢٧

(٥) انظر العزفى ، الدر المنظوم ص ٣٠ .

(٦) احتفل أهل الأندلس بعيد ميلاد المسيح عيسى عليه السلام فى ٢٥ ديسمبر كما احتفل بعيد يناير أو رأس السنة الميلادية الجديدة وهو سابع أيام مولد المسيح ، أما خميس أبريل أو خميس العهد فكان يحتفل به قبل عيد الفصح المسيحى بثلاثة أيام ، ويذكر عريب بن سعد أن ليلة العجوز فى بلده الاندلس تبدأ فى ٢٦ فبراير ويضيف أن أيام العجوز خمسة وقيل سبعة أيام ، ثلاثة من فبراير وأربعة من مارس انظر : (كتاب الأنواء أو تقويم قرطبة ، ص ٣٢) وراجع أيضا عن ليلة العجوز (المسعودى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢١٥)

النصارى فى الاهتمام بشراء الفاكهة وأطعمة معينة ، وتبادل الهدايا ، فيذكر العزفى أن من البدع التى انتشرت فى عهده الاحتفال بعيد يناير والميلاد ، وذلك بسبب الزعم بأنه « من عمل مثل هذا العمل لم يخل عامةً من رغد العيش وسعة الرزق وبلوغ الأمل »[1] ويعلل العزفى مشاركة المسلمين للنصارى فى أعيادهم بتأثير الجوار لهم ومخالطتهم لتجارهم ومكاشفتهم عند الكينونة فى إسارهم ... »[2].

رابعاً — وسائل التسلية واللهو والترويح عن النفس :

(ا) مجالس العلم والشعر والأدب والقصص :

حفلت مالقة فى عصر الطوائف بمجالس الأدب والشعر وعلوم الدين سواء فى قصور الأمراء أو دور القضاة والفقهاء وأهل العلم الأثرياء ، فتذكر المصادر أن شعراء وأدباء مالقة كانوا يحضرون مجالس خلفاء بنى حمود وباديس بن حبوس الصنهاجى ، وكانت تلك المجالس الأدبية فرصة لالقاء القصائد الرائعة تزلفا للأمراء والخلفاء وذوى الجاه والنفوذ وللحصول على هباتهم واعطياتهم[3]. كذلك يفيد النباهى المالقى بأن الفقيه محمد بن الحسن الجذامى قاضى مالقة فى عصر الطوائف (ت ٤٦٣ هـ) ، كان يعقد مجلسا للعلم بداره طوال شهر رمضان يدعو إليه بعض الفقهاء والعلماء من أصدقائه[4] ، كما يتضح من المصادر أن قاضى مالقة فى عهد الخليفة ادريس

---

(١) انظر : الدر المنظوم ص ٢١ .

(٢) الدر المنظوم ، ص ٢١ . ويوضح العزفى أن من أسباب تلك البدع أيضا وانتشارها بين المسلمين « مطاوعة الرجال للنساء على الاستعداد لها والتصميم لشأنها وانقيادهم لهن فى ذلك عاما بعد عام حتى رسخت فى صدورهم .. » .
انظر : (الدر المنظوم ، ص ٢٨) .

(٣) انظر : ابن بسام ، نفسه ق ١ مجلد ٢ ص ٨٥٩ — ٨٦٢ ، ابن الابار ، الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٨ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .
Robles, Malaga musul. pp. 357 - 358.

(٤) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٩٢ .

العالى الحمودى ويدعى الحسن بن حسون كان يعقد مجلسا للعلم والأدب فى داره[1].

وهناك نوع آخر من المجالس تسمى مجالس القصص ، وفيها كان يجلس القصاص فى الأسواق والمقابر والشوارع المزدحمة بالمارة لرواية اخبار الملوك والأمم السابقة والسلف والسير وقصص الأنبياء والحكايات المختلفة التى كثيرا مايتخللها بعض الأساطير التى تجذب اهتمام العامة [2] .

(ب) مجالس اللهو والطرب والشراب :

تعددت مجالس اللهو والطرب والشراب فى مالقة ، فبعضها كان يقام فى أبهاء قصور الأمراء والخلفاء ودور الأثرياء ، والبعض الآخر فى المنيات والمتنزهات خارج المدينة ، وكانت كؤوس الخمر التى تشتهر بها مالقة ــ تدور فى أمثال تلك المجالس ، التى تصاحب ــ عادة ــ بالغناء والموسيقى والرقص[3] فيذكر ابن بسام أن مجلس الخليفة ادريس العالى بالله الحمودى كان يضم العديد من الشعراء والأدباء وأصحاب المواهب الفنية ومنهم المغنى محمد ابن الحمامى الذى كان يتغنى فى المجلس بأشعار فى مدح الخليفة العالى بالله [4] .

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ مجلد ٢ ص ٨٦٦ ــ ٨٦٧ . ويمتدح الأديب الشاعر ابن وليد المالقى مجلس القاضى ابن حسون ــ وهو يرثيه عقب وفاته بقوله :

قد كان مجلسك المبارك موسما ... فأقام أوحش من عداة فراق
غيبت عنه مغيب بدر كامل ... والليل أدهم صارب برواق

انظر : (الذخيرة ق ١ مجلد ٢ ص ٨٦٦ ــ ٨٨٧) .

(٢) انظر . ابن عبد الرؤوف ، رسالة فى الحسبة ص ١١٣ ، أحمد عبد الرازق ، وسائل التسلية عند المسلمين ضمن دراسات فى الحضارة الاسلامية بمناسبة القرن ١٥ هـ جـ ١ ــ الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٥ م ص ٨٣ ــ ٨٥ Levi - provencal, Histoire, t. III, p. 439 .

(٣) راجع : المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ص ٢٠٩ ، عبد العزيز سالم ، صور من المجتمع الأندلسى ص ٦٢ ، ٦٣ ، أحمد عبد الرازق ، نفسه ص ٨٩ .

(٤) من ذلك قوله :

إذا ضاقت بك الدنيا ... ففرج نحو ادريسا =

كذلك كان الأمير باديس بن حبوس الصنهاجي يعقد بقصره في قصبة مالقة مجلسا من مجالس الطرب يغني فيه المغني عتيق المهدوي ويتبادل فيه شعراء مالقة وعلى رأسهم عام بن وليد المخزومي المالقي القصائد (ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ — ١٠٧٨ م) [١] .

ويذكر ابن الابار أن راقصة بمالقة (في القرن ٦ هـ / ١٢ م) تدعى نزهة وتعرف بـ تخط الشوق ، كانت تقوم بالرقص في مجالس اللهو والطرب ، وتستحوذ على اعجاب الحضور [٢] .

ومن مجالس الأنس والشراب أيضا بمالقة : مجلس الأديب الشاعر محمد بن السراج المالقي (من شعراء بني حمود) ، وكان يجتمع فيه مع ندمائه وأصدقائه ومنهم ابن الغليظ (أحد أدباء مالقة في القرن ٥ هـ / ١١ م) ، الذي يذكر أن صديقه ابن السراج كان يتعاطى الخمر بكثرة في مجالس انسه رغم ضعفه وكبر سنه [٣] ، ويضيف انه كان يلتقي بهم عند أحد جداول المياه بمدينته مالقة حيث يقيمون عدة أيام يستمتعون خلالها بخرير المياه ورائحة الزهور وشرب الخمر [٤] . كذلك كان ابن السراج وصحبه يجتمعون في المنيات والبساتين خارج المدينة أيام العصير ، وتدور عليهم هنالك كؤوس الخمر ويتبادلون إلقاء بعض الأشعار [٥] .

إذا لاقيته تلقى رئيسا غير مرؤوسا
ومن عزماته تفنى على الأوطان ابليسا
إمام ماجد ملك يزيل الغم والبوسا

ويذكر ابن وليد المالقي أن كل من كان بمجلس الخليفة العالي بادروا إلى حفظ هذا الغناء انظر (ابن بسام ، نفسه ، ق ١ مجلد ٢ ص ٨٦٣)

(١) انظر ابن بسام ، نفسه ، ق ١ مجلد ٢ ، ص ٨٥٩ .

(٢) انظر : ابن الابار ، المقتضب ، ص ١٤٤

(٣) انظر : ابن بسام ، نفسه ، ق ١ ، ص ٨٧٠ — ٨٧١ ، ٨٨٠ .

(٤) ابن بسام ، نفسه ، ق ١ ، مجلد ٢ ص ٨٧٢ .

(٥) انظر : ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ مجلد ٢ ، ص ٨٨٢ .

ويذكر ابن بسام أن بمالقة ربوة تعرف بالعقاب تشرف على وادى مالقة ، كانت موضعا لمجلس انس يحضره الأديب ابن وليد المالقى مع بعض ندمائه [1] . كذلك تشير المصادر إلى مجلس إنس كان يعقد بضيعة فى موضع يعرف بوادى شنيانه خارج مالقة كان يحضره الفقيه أبو جعفر بن صفوان المالقى (عاش فى القرن ٨ هـ / ١٤ م) ـــ مالك الضيعة ـــ وبصحبته بعض أصدقائه من العلماء والأدباء [2] .

وتجدر الإشارة إلى أن قنطرة مالقة وضفاف نهرها (وادى المدينة) ، والرملة والمنيات كانت من أهم مواضع النزهة ومجالس الأنس والترويح عن النفس فى مالقة الإسلامية [3] ومن جهة أخرى كانت الحمامات أيضا تمثل أحد مجالس الأنس والتسلية إلى جانب وظيفتها فى نظافة الابدان وإنعاشها ، فكانت ملتقى للأدباء والشعراء والظرفاء [4] ، كما كان خروج النساء إليها فرصة للتسرية عن أنفسهن ، ولقاء الصديقات ، والتمتع بقدر من الحرية بعيدا عن الحياة المتزمتة داخل دورهن [5] .

---

(١) انظر : ابن بسام ، نفسه ، ق ١ مجلد ٢ ص ٨٥٨

(٢) يقول الشاعر ابن شعيب الكريانى فى مجلس الأنس الذى حضره بوادى شيانه

رعى الله وادى شيانه وتلك العذايا وتلك الليال
ومرحنا بين خضر الغصون وودق المياه وسحر الظلال

انظر (ابن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ١ ص ٢٧٢) .

(٣) راجع الحميدى نفسه ص ٣٧٠ ، ابن بسام ، نفسه ،ق ١، مجلد ٢، ص ٨٥٨ ، ابن الخطيب ، نفسه ، مجلد ١ ، ص ٤١١ ، المقرى ، نفح ، جـ ٦ ص ٦٧ ، ٦٨ . ليفى بروفنسال ، الشعر الشعبى ، ضمن سلسلة محاضرات عامة،ص ٣١ ، ٣٤

(٤) انظر : المقرى ، نفسه جـ ٤ ص ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٧٢ .

(٥) انظر : ابن عبدون ، نفسه ص ٤٨ ، ٤٩ ، عبد العزيز سالم،فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس، ص ٢٠٩ .

Lévi - provençal, Histoire. III. p. 431 & H Miranda, Hist . musul . de valencia, t. I, p 69

(جـ) الصيـــد :

يعتبر الصيد والقنص من وسائل التسلية الهامة فى مالقة — شأن غيرها من المدن الأندلسية — فلا شك أن مرتفعات مالقة خاصة جبل فاره الذى يقع شرقيّها كانت مجالا مناسبا لصيد العديد من الحيوانات والطيور ومن أهمها : الغزلان والأيايل والأرانب البرية والشواهين والبزاة والخنزير الجبلى وغير ذلك من الحيوانات والطيور التى اشتهرت بها الأندلس (1) .

ويجدر بالذكر أنه عثر فى حفائر بهضبة مارموياس (Marmuyas) بمالقة على بعض حراب الصيد ، مما يؤكد اهتمام أهل مالقة بالخروج إلى رحلات الصيد (2) ، كذلك يشير ابن عذارى — نقلا عن ابن حيان — إلى أن الخليفة ادريس العالى الحمودى كان كثير الخروج من حاضرته مالقة لأحل الصيد والقنص فى الجبال والبوادى المجاورة (3) .

(د) اللعب بالشطرنج والنرد :

تشير بعض المصادر إلى انتشار لعبتى الشطرنج (4) والنرد (5) بين أهل

(1) انظر : المقرى ، نفح ، حـ 1 ص 188 وحول الحيوانات والطيور التى كانت تصاد فى الأندلس وكيفية الصيد بالبزاة والكلاب ، راجع : عريب بن سعد ، كتاب الأنواء ص 48 — 59 ، 75 — 76 ، عبد العزيز سالم ، صور من المجتمع الأندلسى ، ص 70 — 72 ، عبد الرحمن الباشا ، الصيد عند العرب ، بيروت ، 1978 م ، ص 98 ، 191 ، 197 — 198

(2) انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب حـ 3 ص 217 .

(3) Excavaciones en los montes de Malaga, p. 130

(4) يذكر المسعودى أن لعبة الشطرنج تنسب إلى قدماء الهند ، وكان الشطرنج وقتذاك — عبارة عن رقعة مربعة الشكل تتألف من « ثمانية أبيات فى مثلها » ، ثم أصبحت « مستطيلة وأبياتها أربعة فى ستة عشر » راجع (مروج الذهب حـ 4 ، ص 367 — 368) .

(5) النرد : يذكر ابن منظور أن النرد شىء يلعب به ، فارسى معرب ، وهو النردشير (لسان العرب ، مجلد 3 ، بيروت 1968 ص 421) ، وارتبطت هذه اللعبة — غالبا — بالقمار ، ولذا حرم الرسول اللعب بالنرد ، وورد فى الحديث الشريف : « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » — راجع (سنن ابن ماجه ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، مجلد 2 ، ص 1237) . ويذكر المسعودى أن

الأندلس ، فيذكر ابن بسام أن الوزير الكاتب عبد الله بن عبد البر (كاتب بنى عباد) أصحاب اشبيلية اهدى اليه شطرنج من أحد أصدقائه ، بالغ ابن عبد البر فى وصفه وحسن صنعه[1] ويضيف ابن بسام أن أحمد بن عباس (وزير زهير العامرى صاحب المرية فى عصر الطوائف) كان شغوفا بلعب الشطرنج مع أصدقائه ، ويواصل اللعب نهاره كله وبعض ليلته لايرفع رأسه[2] وكان المحتسب فى الأندلس يمنع اللعب بالشطرنج والنرد على سبيل القمار لأن ذلك من المحرمات ويشغل عن الفرائض[3] .

(هـ) ألعاب أخرى :

الحت المصادر إلى بعض الألعاب الأخرى التى تسلى بها أهل الأندلس ومنها اللعب بالمقارع والعصى فى الشوارع لاسيما فى أيام الاحتفالات والأعياد[4] ، ولعبة المثاقفة بالحراب ، التى يصفها الونشريسى بأنها « تدريب للجوارح على معانى الحروب »[5] .

ونستدل من مقامة للكاتب عمر بن الشهيد (عاش فى عصر الطوائف) وازجال لابن قزمان على وجود لعبة خيال الظل فى الأندلس ، وكان يطلق عليها اسم « القليانى » ، ويشير ابن قزمان إلى ثيابه الممزقة المهلهلة بما يدل على أن

= أردشير بن بابك الفارسى أول من صنع النرد ولعب بها ويستعمل فى اللعب بالنرد ثلاثون حجرا وفصان على الرقعة ، رسم عليها اثنا عشر مرلا ، وفى بعض الأحيان أربعة وعشرون مرلا انظر (مروج الذهب جـ ١ ص ٧٨ ، أحمد عبد الرازق ، وسائل التسلية ، ص ١٢٣ ــ ١٢٤)

(١) يصف ابن عبد البر الهدية (الشطرنج) لصديق بقوله : « وقرنت إلىّ الهدية الرائقة شطرنجا صغيرا كأن أقليدس قسم أجزاءه ورقق أشكاله وانحاءه . قد قسم قسمين قسم أحمر وقسم وكأنه من ناصع الجوهر تتقابل خيله بلا فرسان فى أرض سريعة الأقطار » انظر ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ مجلد ١ ص ٢١٤ ــ ٢١٥)

(٢) انظر ابن بسام ، نفسه ، ق ١ مجلد ٢ ص ٦٦٧

(٣) انظر ابن عبدون ، رسالة فى القضاء والحسبة ص ٥٣

Lévi provençal, Histoire t III, p 444

(٤) انظر الجرسيفى ، رسالة فى الحسبة ص ١٢٤

(٥) انظر المعيار جـ ٣ ص ٢٥٢ . سعيد عاشور نفسه ص ٩٩

تلك اللعبة كانت تعتمد فى الأندلس — كما فى المشرق — على الهزل واضحاك المشاهدين [1] .

خامساً — الأزياء والأطعمة فى مالقة الاسلامية :

(ا) الأزياء :

فى الواقع أن المصادر لم تزودنا بأية اشارات عن أزياء أهل مالقة ، غير أنه يمكن القول بأنها لم تكن تختلف عن أزياء المسلمين فى المدن الأندلسية الأخرى وعلى هذا فالحديث عن الازياء سيكون عاما ، أى ينطبق على مدن الاندلس ككل [2] .

والثابت أن الفضل الأعظم فى تنظيم الأزياء الأندلسية وتطويرها يرجع إلى المغنى على بن نافع المعروف بزرياب — مولى الخليفة العباسى المهدى — وذلك منذ بداية عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، واستمر تأثيره فيما تلى ذلك من عصور ، فيذكر المقرى أن زرياب حدد استعمال كل نوع من أنواع الملابس تبعا للفصل الذى يلائمه [3] .

وتزودنا كتب الفتاوى والنوازل الفقهية ببعض الاشارات حول أزياء أهل الأندلس عموما ، منها أن الشباب من الجنسين كانوا يرتدون فى الصيف القمصان الكتانية أو القطنية (وتسمى دراعة) [4] ، وفوق القميص سروال

---

(١) ابن بسام ، نفسه ق ١ مجلد ٢ ص ٦٧٧ ، الاهوانى ، على هامش ديوان ابن قزمان ، ص ٥٥ ، عاشور ، نفسه ، ص ٩٩ ، أحمد عبد الرازق ، نفسه ، ص ٩٣

Levi provencal, op. cit., III, p. 439

(٢) راجع : سحر سالم ، مظاهر الحضارة فى بطليوس ص ٢٨٤ .

(٣) انظر : نفح الطيب جـ ٤ ص ١٢٥ ، سحر سالم ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥

(٤) من الملاحظ أن أزياء أهل الريف اتسمت بالبساطة ، فكانوا يرتدون الجبة المصنوعة من النسيج السميك ، وكذلك القمصان القطنية المعروفة بالدراعة أو الجلباب المصنوع من الصوف ، والمفتوح فى جزء منه راجع

(Dozy, Noms des vetements, Amsterdam 1843, p. 314 & Lévi provençal, L'Histoire, III, p. 425)

طويل وضيق ، يصل حتى رسغ الساق ، أما فى الشتاء فكان رجال ونساء الطبقة الثرية يرتدون — علاوة على تلك الثياب الخفيفة — عباءة مبطنة بالفراء وتسمى محشو ، تفصل على هيئة جلباب أو سترة من الفراء من صوف الأغنام أو فراء الأرانب ، أما الفقراء فكانوا يلبسون فى الشتاء عباءات محشوة بالقطن ، ويضيف الونشريسي أن ثياب المتقدم للزواج (أو الرجل) فى الأندلس كان من أهمها القميص والسروال والغفارة والمحشور ، أما العروس أو (المرأة) فكانت تحرص على التجهيز بأثواب الحرير والقطيفة (١) .

ويذكر المقرى أن معظم العامة فى الأندلس كانوا لايرتدون الطيلسان بينما يحرص القضاة والفقهاء وأهل العلم على وضعه فوق رؤوسهم أو يسدلونه على الكتفين ، كما كانوا يضعون أحيانا على الرأس قلنسوة من الخز تسمى شاشيه (ويقال لها أيضا الدنية) ، أو غفارة من الصوف ذات لون أحمر أو أخضر ، فى حين كان اللون الأصفر مخصصا لليهود (٢) .

أما المرأة فكانت تغطى رأسها بخمار وهو غطاء من الحرير أو الكتان ، كما تقوم بلف نفسها بقطعة كبيرة من النسيج المصنوع من القطن أو الكتان (٣) تسمى الملحفة أو الإزار، كذلك يشير السقطى إلى أن نساء بلدة مالقة كن يستعملن القنوع الحريرية ، أما الرجال فكانوا يلبسون العمائم المفتولة المصنوعة من الحرير (٤) ، كما كان بعض أهل الأندلس يضعون على رؤوسهم عند اشتداد الحرارة صيفا مايسمى بالقنزع وهو غطاء أو قبعة من القش (٥) .

---

(١) انظر المعيار جـ ٢ ص ١١٩ ، ١٢٢ ، ٢٤٩

Lévi - provençal, op cit III, p 424

(٢) الخشنى ، نفسه ، ص ٣٠ ، المقرى ، نفح الطيب جـ ١ ص ٢١٠ — ٢١١ ، الأهوانى ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام جـ ٢ ، مجلة معهد المخطوطات ، ١٩٥٧ م ص ١٩٣ ، ٢٠٠

(٣) الأهوانى ، ألفاظ مغربية جـ ١ ص ١٥٦

Lévi - provençal, op cit , III, p. 424 - 425

(٤) انظر : آداب الحسبة ص ٦٢ .

(٥) انظر الأهوانى ، على هامش ديوان ابن قزمان ص ٥٦

Lévi provençal, op cit III, p 425

أما بالنسبة للأقدام فقد كانوا ينتعلون أحذية جلدية أو خفافا من القماش أو الصندل المسمى بالنعل ، أو القرق وهو نوع من النعال يصنع من الفلين . وكانت النساء يلبسن جوارب صوفية تصل إلى الركبتين وفوقها يلبسن النعال الجلدية أو الخفاف أو النعال الصرارة (أى ذات الصوت) التى كانت تعتبر فى نظر أصحاب الحسبة من مظاهر التبرج [1]. ويتضح من المصادر أن أهل الذمة فى الأندلس والمغرب كانوا لايلبسون العمائم ، ويلتزمون بوضع الزنار (أى النطاق أو الحزام) حول الوسط وكان أحد خفى نسائهم أسود والآخر أبيض أو أحمر تمييزا لهن عن نساء المسلمين [2].

(ب) الأطعمــــة :

كان لزرياب تأثير كبير أيضا على المطبخ الأندلسى فقد أدخل العديد من ألوان الطعام العراقية ، ودعا إلى ترتيب الأطعمة على الموائد ، وعدم تقديمها دفعة واحدة ، وأصبح من غير المستحب لدى أهل الأندلس وخصوصا عند الطبقة الخاصة تقديم لونين من الطعام غير منسجمين أو لايتمشيان مع بعضها البعض [3] .

والملاحظ أن ربة البيت فى الطبقة العامة والوسطى كانت تقوم باعداد الطعام بنفسها ، بينما استخدمت الموسرات بعض الطاهيات المحترفات ، أما فى

---

(١) انظر : يحيى بن عمر ، أحكام السوق ص ٩٢ ، هـ ١ ص ١٢٦ ، الطوحى ، نفسه،ص ٥٤ ــ ٥٥ ، حمدى عبد المنعم ، نفسه ، ص ٤٥٩

Lévi - provençal, op cit., III, pp. 424 - 425.

(٢) ابن عبدون ، نفسه،ص ٥١ ، الونشريسى ، نفسه ،جـ٢، ص ٢٥٤ ــ ٢٥٧ .

(٣) انظر : مؤلف مجهول ، كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ، نشر وتحقيق أوبثى ميراندا ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، ٦١ ــ ١٩٦٢ ص ٨٥ ، المقرى ، نفسه جـ ٤ ص ١٢٤

Lévi - provençal, op cit . III, p. 418

حالات اعداد الولائم فى المناسبات السعيدة فكانوا يستخدمون طباخين تخصصوا فى فن الطبيخ وكانت لهم حوانيت بالأسواق (١).

وقد أمدنا السقطى — محتسب مالقة — بمعلومات قيمة عن الأطعمة التى كانت تعد فى المطابخ وتباع فى أسواق مدينته مالقة ، ومن أهمها : المركاس (أو المرقاس) — وكان يصنع من لحم فخذ الضأن (٢) ، وهريسة الشحم التى تعد من دقيق القمح والشحم أو اللحم (٣) ، والاسفنج الذى يصنع من السميد والدقيق والبيض والماء والخميرة والجوز واللوز والفستق والعسل ، وبعد أن يتكون عجين محشو يقطع إلى لقيمات وتقلى فى الزيت (٤). كما كان يعد فى المطابخ المالقية مايسمى بالبلاجة وهى فطائر محشوة بالدجاج (٥) ، علاوة على المجبنات التى كانت تصنع من الجبن والدقيق وشىء من الخميرة (٦)، والتفايا التى تعد من لحم الضأن والتوابل واللوز والبندق المقشر وبعض الزيت والماء (٧) ، هذا بالاضافة إلى المشويات من اللحوم والدجاج (٨)، وأصناف عديدة من الأطعمة يستخدم فيها الحوت (الاسماك) (٩).

وبرع أهل الأندلس قاطبة فى اعداد أنواع كثيرة من الحلوى منها العصيدة وهى من العسل والسمن ولباب الخبز واللوز المقشر ، والفالوذج ويصنع من

---

(١) انظر . السقطى ، نفسه ص ٤٠ ، ابن عذون ، نفسه ص ٥٢
Lévi - provençal, op cit . III, p 418

(٢) السقطى ، نفسه ، ص ٣٦ . وراجع تفاصيل اعداد المركاس فى مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٢١ .

(٣) السقطى ، نفسه ص ٣٦ . وعن تفاصيل صنع الهرائس . راجع مؤلف مجهول ، نفسه، ص ١٩٠ — ١٩٢ .

(٤) السقطى ، نفسه ، ص ٣٦ ، مجهول ، نفسه ، ص ٨٨ .

(٥) انظر . السقطى ، نفسه ، ص ٣٩
Levi - provencal Histoire III, p 420

(٦) راجع تفاصيل صنع المجبنات فى . السقطى ، نفسه ، ص ٣١ ، ٣٧ ، مجهول ، نفسه ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

(٧) انظر التفاصيل فى : مجهول ، نفسه، ص ٢٨ — ٢٩ ، ٦٣ ، المقرى ، نفح ، جـ٤، ص ٢٠٤

(٨) السقطى ، نفسه ص ٤٠ ، مجهول ، نفسه ، ص ٢٨ — ٢٩

(٩) راجع - مؤلف مجهول ، نفسه ، ص ١٧٢ — ١٧٥

العسل الطيب المصفى والنشا والزعفران واللور المقشر والسمسم والزيت ، علاوة على الكعك والكنافة وحلاوة بالتمر والعسل واللوز والجوز [1] .

أما الأشربة ، فقد المح السقطى إلى بعضها فى بلدة مالقة مثل شراب العناب والبنفسج، ويذكر أن العطارين كانوا يبيعون تلك الأشربة فى حوانيتهم [2] ، كما أشار عريب بن سعد إلى بعض الأشربة الأخرى فى الأندلس ومن أهمها : شراب التوت وعصير الرمان وشراب التفاح والماء المعطر بخلاصة زهر البرتقال أو الورد [3] .

سادساً ـــ جوانب من العادات والتقاليد :

تذكر كتب النوازل والفتاوى بعض العادات والتقاليد الأندلسية ومنها أن بعض أهل الأندلس والمغرب كانوا يتركون تنظيف البيت وكنسه عقب سفر أحد أهل البيت ، ويتشاءمون من القيام بهذه المهام بعد خروجه ، ويتوهمون « أن ذلك أن فعل لايرجع المسافر » ، كذلك عندما يخرجون إلى وداعه يؤدنون مرتين أو ثلاثا ، ويزعمون أن ذلك يرده اليهم [4] .

ومن عاداتهم أيضا : اجتماعهم للذكر والدعاء بالمساجد يوم عرفة تشبها بالحجاج عند الوقوف بعرفه فى ذلك اليوم ، كما يقومون بايقاد الشموع فى ليلة مولد النبى وسابعه ، ويذكر الونشريسى أن من العادات المنتشرة فى الغرب الاسلامى رفع النار بالليل فى رمضان اعلاما بدخوله ، كما كانت ترفع النار فى المآذن وقت السحور إعلاما بالوقت ، وكذلك ضرب بوق اليهود فى المساجد

---

(١) انظر التفاصيل فى : مجهول كتاب الطبيخ ، ص ١٩٤ ، ١٩٧ ـــ ١٩٨ ، ٢٠٨

Lévi - provençal, op cit, t. III, p. 419.

(٢) انظر اداب الحسبة ، ص ٣٦ وراجع تفاصيل صنع تلك الاشربة فى مجهول،نفسه،ص٢٤٢ . وما يليها

(٣) انظر كتاب الانواء ص ٥٨ ، ٦٧ ، ٨٣ ، مجهول ، نفسه ، ص ٢٣٥

Lévi - provençal, op cit . III, p 421

(٤) انظر الونشريسى ، المعيار ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩

بطول ليالى شهر رمضان ليعلم الناس غروب الشمس ودخول وقت الافطار [1]، وتقبيل قبور الأولياء والصالحين وشيوخ العلم [2].

وتذكر كتب الفتاوى أيضا أن المرأة « إذا كانت حائضا لا تكتال القمح ولا غيره من الطعام ، ولا تحضر موضعه لأجل حيضها ، ويذكر الونشريسى أن هذا من فعل اليهود [3] ويضيف أن أهل الأندلس والمغرب اعتادوا إذا مر أحدهم فى الأسواق أو الشوارع ووجد قرطاسا مكتوبا أو خبزا (أو غير ذلك من الأطعمة) فى الطريق فانه يرفعه إلى مكان طاهر بعد أن يقبله أو يضعه على رأسه ، وهذان على حد قول الونشريسى من البدع [4] . كذلك كان معظم العامة أو الجهال لايميلون إلى عقد النكاح أو الزفاف فى شهر المحرم [5] ، كما كانوا يقومون بقراءة القرآن بالألحان المطربة والترجيع المشبه للغناء والملهى لسامعه عن الخشوع والاعتبار [6] ، وقراءة القرآن بالألحان والرقص بالأرجل والتصفيق بالأيدى ، ويوضح الطرطوشى أن ذلك من العادات التى ابتدعها الأندلسيون [7] .

ومن العادات والتقاليد الأندلسية أيضا : اهداء نوار الورد والزهور إلى الأصدقاء فى وقت الجنى [8] ، ومهاداتهم فى المناسبات [9]، وتبادل الزيارة بين

---

(١) انظر : الونشريسى ، المعيار ، جـ ٢ ص ٤٦١ ، ٤٧٢ .

(٢) الونشريسى نفسه ، جـ ٢ ص ٤٩٠ .

(٣) المعيار جـ ٢ ص ٤٨٩ .

(٤) المعيار ، جـ ٢ ص ٤٩٠ ، وهذه العادة مازالت تستخدم فى الأوساط الشعبية فى مصر فى الوقت الحاضر .

(٥) الونشريسى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٩١

(٦) الونشريسى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٩٧ .

(٧) الطرطوشى ، الحوادث والبدع ، ص ٧٧ ــ ٧٨ ، مختار العبادى ، الاسلام فى أرض الأندلس ص ٢٩٤ .

(٨) انظر : الحميدى ، نفسه، ص ٩٧، رقم ١٦١ ابن بسام ، نفسه، ق ٣، مجلد ١، ص ٤٧٣ ، عبد العزيز العواد ، الشعر الأندلسى ، الرياض سنة ١٩٨٢ م ص ٢٢٠

(٩) الحميدى ، نفسه، ص ١١٩ ، ٤١٠ ، ابن بسام ، نفسه، ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ٢١٤ .

الأصدقاء فى المدن المتجاورة ، فيذكر ابن بسام أن أحد بنى حودى بعرباطة كان يزور صديقه الأديب ابن وليد المخزومى (فى عصر الطوائف) بمدينته مالقة ، حيث يقضى فى ضيافته عدة أيام فى ربوع مالقة وبساتينها (١) .

ويتضح مما ذكره ابن الخطيب أن من عادات بعض رجال مالقة الوقوف عند أبواب المدينة أو التنزه على ضفاف الوادى للتغزل فى النساء ، أو اسماعهن بعض الأبيات الغزلية (٢) . كذلك عرفت ظاهرة العشق فى المجتمع الأندلسى فقد كان ابن قزمان القرطبى يخرج بصحبة محبوبته للتنزه على ضفاف الوادى الكبير (٣) ، كما يفيدنا ابن بسام بأن امرأة من مالقة تدعى حسن الورد كانت على علاقة حب مع الشاعر ابن السراج المالقى ، وكانت تبعث اليه ببعض الهدايا ومن بينها قفص فيه طائر يغرد (٤) ، ومما يدل أيضا على انتشار ظاهرة

---

(١) انظر : الذخيرة ق ١ مجلد ص ٨٥٥

(٢) يذكر ابن الخطيب أن الشاعر محمد بن عمر المليكشى المالقى (ت سنة ٧٤٠ هـ) لقى ليلة بباب الملعب بمالقة « ظبية من ظبيات الأنس وفتنة من فتن هذا الجنس ، فخطب وصالها حتى همت بالانقياد .. فأبقى على نفسه وأمسك وأنف من خلع العذار بعد ما تنسك » قال :

لم أنس وقفتنا بباب الملعب ... بين الرجا واليأس من متجنب
وعدت فكنت مراقبا لحديثها ... يا ذل وقفة خائف مترقب
وكذلك فتذللت بعد تعزز ... يأتى الغرام بكل أمر معجب

انظر (الاحاطة ، مجلد ٢ ص ٥٦٤) .

ويشير ابن بسام أيضا إلى أن الأديب الشاعر ابن السراج المالقى خرج للنزهة مع بعض أصدقائه إلى الوادى فى أيام الربيع ، « فمر به سرب ملاح فيهن جارية حسناء ظريفة المنطق ، وهى تأكل باقلاء فاعترضها وسألها منه ، فدفعت اليه » فقال بديهة :

وسرب ملاح مربى وبصاحبى ... ونحن على ماء يذكرنا عدنا
ويحملن فولا عندهن نظيره ... عوان ولكن نوره عن أن يجنى
فقمت عسى من هولكن بقية ... فقلن وأى الهول ترعه ما ؟
فقلت الذى تحت السراويل قلن لى ... جهلت ولم تفهم مقالنا عنا
حرام على من كان شيخا مشوها ... وصال ملاح قد شمس الضحى حسنا

انظر : (ابن بسام ، نفسه ، ق ١ مجلد ٢ ص ٨٨١) ؛

(٣) انظر : ليفى بروفنسال ، الشعر الشعبى ، ضمن سلسلة محاضرات عامة ، ص ٣١

(٤) الذخيرة ، ق ١ ، مجلد ٢ ، ص ٨٧٢ — ٨٧٣

الحب أو العشق فى مالقة تلك الأبيات الشعرية التى كان يبعث بها أدباء وشعراء من مالقة إلى محبوباتهم من النساء [1].

ولم يقتصر الأمر على التغزل فى النساء ، بل انتشرت بين الأندلسيين عموما وعلى مستوى جميع طبقات المجتمع عادة سيئة هى التغزل فى الغلمان ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر الأديب ابن مناو المالقى فى غلام جميل حلق شعره :

حلقوا رأسه ليزداد قبحا حذرا منهم عليه وشحا
كان قبل الحلاق صبحا وليلا فمحوا ليله وأبقوه صبحا [2]

كذلك انتشرت عادة سيئة أخرى وهى شرب الخمر بين مختلف الطبقات سواء فى مالقة أو فى غيرها من المدن الأندلسية وكانوا يتعاطونها بكثرة خاصة فى مجالس الانس والطرب والشراب ، فيذكر ابن بسام أن الشاعر ابن السراج المالقى (فى القرن ٥هـ/ ١١م) — كان يدمن شرب الخمر رغم شيخوخته [3] ، كما تشير المصادر إلى أن الخليفة يحيى المعتلى الحمودى صاحب مالقة خرج وهو ثمل لمحاربة جيش بنى عباد (أصحاب اشبيلية) فكان ذلك سببا فى مقتلة [4]

---

(١) من أمثلة ذلك قول الشاعر ابن غالب (أحد كتاب مالقة) :

لاتخشى قولا قد عقدت الالسا وابعث خيالك قد سحرت الأعيا
واعطف علىّ فإن روحى راهق وانظر إلىّ بنظرة ان أمكنا

انظر (المقرى، نفح ، جـ ٤، ص ٢٩١ ، ٣٦٤) .

(٢) انظر : الحميدى ، جذوة المقتبس ص ٢٩٨ رقم ٩٤٢ — وراجع أيضا حول تلك العادة السيئة المقرى ، نفسه جـ ٤ ، ص ٢٤٨ ، ٢٥١

(٣) انظر : ابن بسام ، نفسه ، ق ١ مجلد ٢ ، ص ٨٧٣ — ٨٧٤ ، ٨٧٦ ، ٨٨٠ ، ٨٨٢

(٤) الحميدى ، نفسه ، ص ٢٥ ، النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٢٢ (الخاص بالمغرب والأندلس) نشر ريمرو ، مجلة الدراسات التاريخية بغرناطة سنة ١٩١٧ م ، ص ٢٣٥ . وراجع أيضا عن عادة شرب الخمر فى الأندلس : الحميرى ، نفسه ص ٢٤٥ رقم ٥١٢ ، المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ص ٣٠٢ ، ٣٥٨ ، الاهوانى ، على هامش ديوان ابن قزمان ص ٢٥ ، ٣٠ .

ومن العادات الأندلسية ان النساء كن يتبعن الجنائز [١] ، وكان أهل الأندلس يختصون بارتداء الثياب البيضاء فى الحزن والحداد [٢]، كما كان بعض أهالى مالقة يميلون إلى الدهاب للمقابر عند الشعور بانقباض النفس ، وذلك للترويح عنها ، وللعظة والاعتبار [٣] .

ومن الجدير بالذكر أن بعض نساء الأندلس من الطبقة الوسطى — اعتدن استئجار الحلى والمجوهرات من نساء متخصصات فى كراء حليهن مقابل مبلغ من المال ، حيث كان يكتب فى العقد اسم المؤجر ومدة الكراء ، ويوصف كل شيء يتم اعارته مع الاشارة إلى وزنه [٤] .

كذلك جرى العرف عند أهل الأندلس إتباع نظام أشبه بنظام التضامن الاجتماعى فعند اشتعال حريق فى السوق أو القيسارية ، كان على أهل السوق من الصناع والتجار وغيرهم أن يتضامنوا معا لاصلاح ما أفسده الحريق ، وأن كان بعض الفقهاء قد أفتى بعدم تضمين من عُرف احتراق حانوته [٥] .

وجدير بالذكر أن الأندلسيين اتبعوا تقليدا خاصا بهم فيما يتعلق بيوم "العطلة الرسمية ، فتذكر بعض المصادر أن يوم الأحد كان عطلة أسبوعية عند أهل الأندلس تشبها بالنصارى المعاهدين (المستعربين) ، وكانت تتعطل فيه المصالح الحكومية وكان أول من سن هذا التقليد قومس بن انتنيان (كاتب الأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط) وظل متبعا فى عهد المنصور بن أبى عامر وطوال عصر الطوائف [٦] .

---

(١) انظر : الخرسيفى ، رسالة فى الحسبة ص ١٢١ .

(٢) انظر : ابن سهل ، وثائق فى أحكام القضاء الجانى مستخرجة من الاحكام الكبرى تحقيق محمد حلاف ص ٦٣ ، المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ص ٤٠٧ .

(٣) انظر : المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ص ٢٧٥ .

(٤) انظر : ابن العطار ، الوثائق والسجلات ص ١٩٧ — ١٩٨

Levi - provencal. Histoire, t. III, p. 433.

(٥) انظر : الونشريسى، المعيار ، جـ ٨ ، ص ٣٢٩ .

(٦) انظر : ابن حيان ، قطعة من المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ١٣٨ ، ١٩٠ ، ٢٩٨ ، ابن

سابعاً ــ بعض مظاهر الرذيلة فى مجتمع مالقة :

أشارت كتب الحسبة وبعض الفتاوى والنوازل الفقهية الأندلسية إلى بعض الرذائل الخلقية وعناصر من أهل الفساد والانحلال فى مالقة والمدن الأندلسية الأخرى ، فكانت بعض النسوة يحترفن البغاء ، ويطلق عليهن الخراجيات أو نساء دور الخراج ، وكن نساء سيئات السمعة يسكن ــ عادة ــ بالفنادق ويعملون فى البغاء [1] كذلك أشار الونشريسى إلى وجود نساء فى الأندلس والمغرب كن يجمعن بين الرجال والنساء وكان القاضى يأمر بضربهن وسجنهن وسد أبواب دورهن بالطين والطوب ، ثم يأمر بنقلهن بين قوم صالحين [2] . ومن ناحية أخرى يذكر ابن سهل أنه ــ أحيانا ــ تقوم احدى النساء ممن عرفن بسوء الخلق وعدم الاستقامة بالافتراء والادعاء الكذب على أحد الرجال المعروفين بالتقوى والصلاح بأنه اغتصبها أو اعتدى عليها [3] .

وتجدر الاشارة إلى أن الشوارع والأسواق وأماكن تجمع الناس حفلت ببعض المخنثين يقلدون النساء فى ملابسهن وأصواتهن ، ويوصفون بأنهم من أهل الفسق والفجور [4] ، كما وجد بعض السكارى الذين يتعاطون الخمر

= سماك العاملى ، الزهرات المنثورة ، تحقيق محمود مكى ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، ١٩٨٠ م ص ٧٣ ، العبادى ، الاسلام فى أرض الاندلس ص ٣٩٠ ــ ٣٩١ ، حمدى عبد المنعم ، نفسه ، ص ٥١٧ ، سحر سالم ، نفسه،جـ ١ ص ٢٦٦ .

(١) انظر ابن عبدون ، نفسه،ص ٥٠ ، الأهوانى ، ألفاظ مغربية ، جـ ١ ص ١٥٥ ــ ١٥٦
Levi provencal Histoire, III pp 445 446

(٢) انظر : المعيار،جـ٢،ص ٤٠٩.

(٣) راجع ابن سهل وثائق فى أحكام القضاء الجنائى ص ٣٢ ، ١٠١ ــ ١٠٢ ، المعيار جـ ٢ ص ٤٢٤ ومن الملاحظ ان القاضى كان يتثبت من هذا الادعاء ويصل إلى الحقيقة عن طريق شهود عدول ، يشهدون بسوء خلق تلك المرأة وصلاح الرجل وتقواه ، فيدرك بذلك كذب الادعاء ، وكان يحكم بضرب المدعية مائة سوط باقرارها بالزنا وثمانين سوطا حد الغربة أو القذف ، فان رجعت عن أدعائها بالاعتداء عليها لزمها حد القذف فحسب . انظر (ابن سهل)،نفسه،ص١٠١ ــ ١٠٢ ، الونشريسى،نفسه،جـ٢، ص ٤٢٤) .

(٤) انظر : السقطى ، نفسه،ص٦٨ ، الجرسيفى ، نفسه،ص ١٢٢
Levi provencal op cit, t. III, p. 445, N, 4.

بشراهة مما يؤدى إلى حالة من السكر والعربدة ، فيسيرون فى الشوارع مجاهرين بالمنكر وارتكاب المحرمات [1] كما ألحت كتب الحسبة إلى تعاطى الحشيش أو المخدرات وماينتج عن ذلك من أذى واضرار [2] .

كذلك وحدت فى المجتمعات الأندلسية ظاهرة السرقة ، فتشير كتب الحسبة إلى قيام بعض اللصوص بالاشتراك مع بعض باعة البخور من ضعاف النفوس — بسرقة المشترين بأن يقوم بائع البخور أثناء البيع برش الماء فى وجه المشترى ، فينتهز اللص الفرصة ويقوم بسرقته ثم يقسم المال المسروق مع البائع [3] . كذلك كانت هناك عناصر من أهل الشر والفساد تقوم بتعكير صفو الأمن وسرقة منازل الأهالى بالاكراه ، وكان القضاة فى مثل تلك الحالات يأمرون بتأديب اللصوص أو المجرمين « الأدب الشديد والحبس الطويل ان لم يكن عندهم مدفع ... » [4] .

---

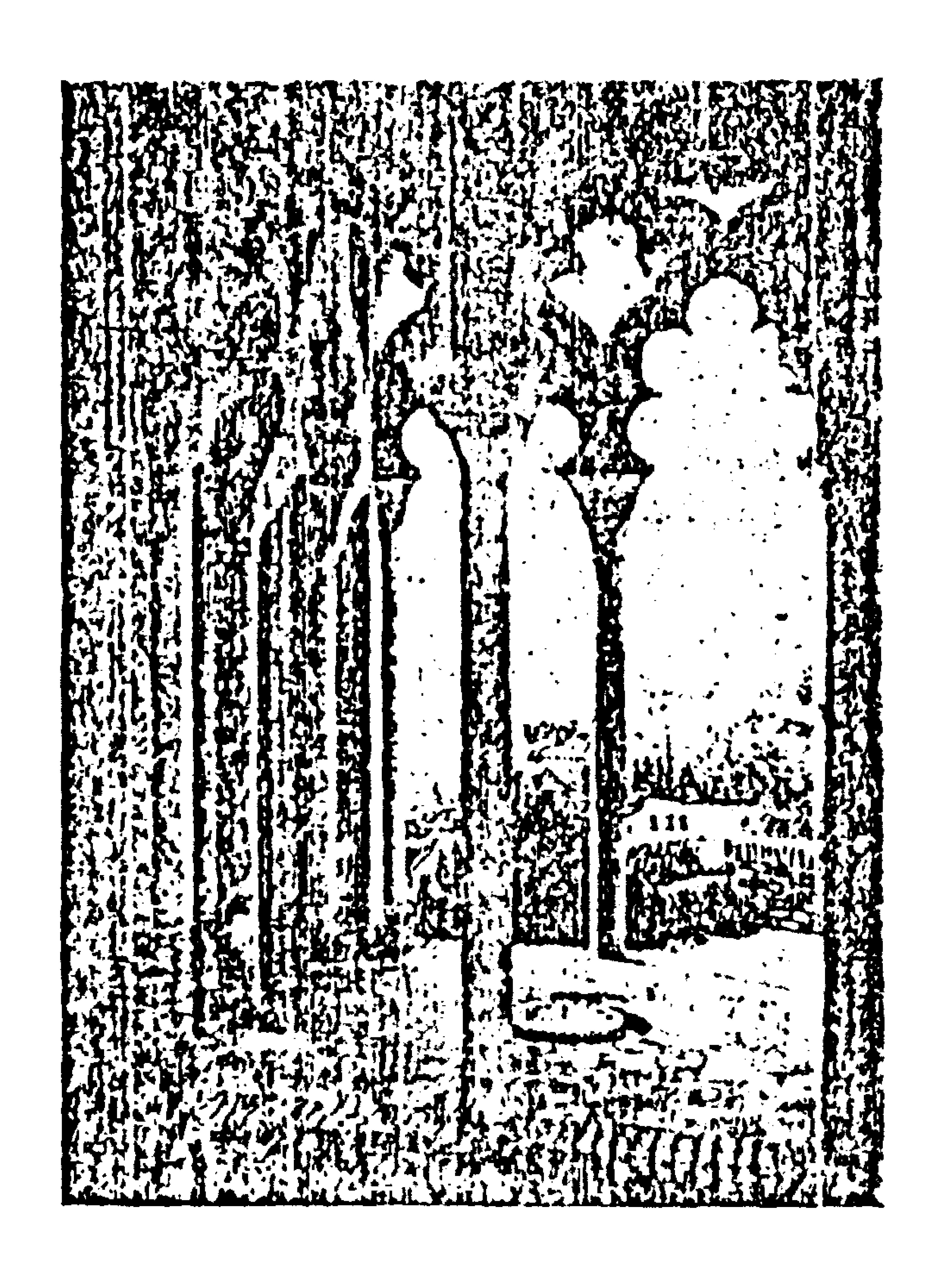
(١) الجرسيفى ، نفسه ، ص ١٢٣

Levi-provencal Histoire t. III, pp. 447 - 448

(٢) الجرسيفى،نفسه،ص١٢٣،سعيد عاشور ، نفسه ، ص ١٠٨ ، العلوجى ، نفسه ، ص ٧٥ — ٧٦

(٣) انظر ابن عبدون ، نفسه ، ص ٥١ .

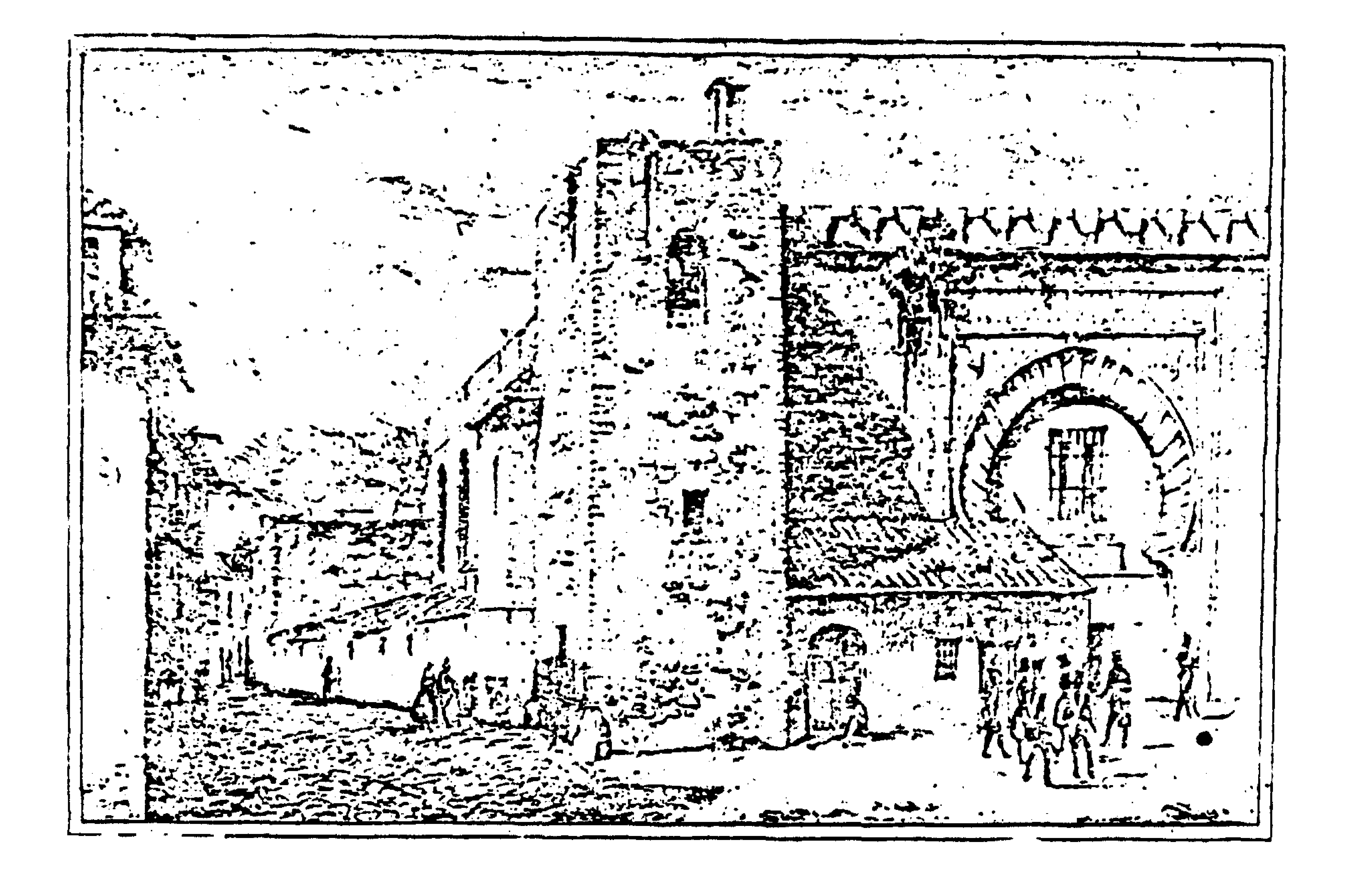
(٤) انظر : ابن سهل ، وثائق فى أحكام القضاء الجنائى ص ٨٨ — ٩١ ، الونشريسى، نفسه ، جـ ٢ ص ٤١٢ .



قصر بني حمود بمالقة

عقود القاعة

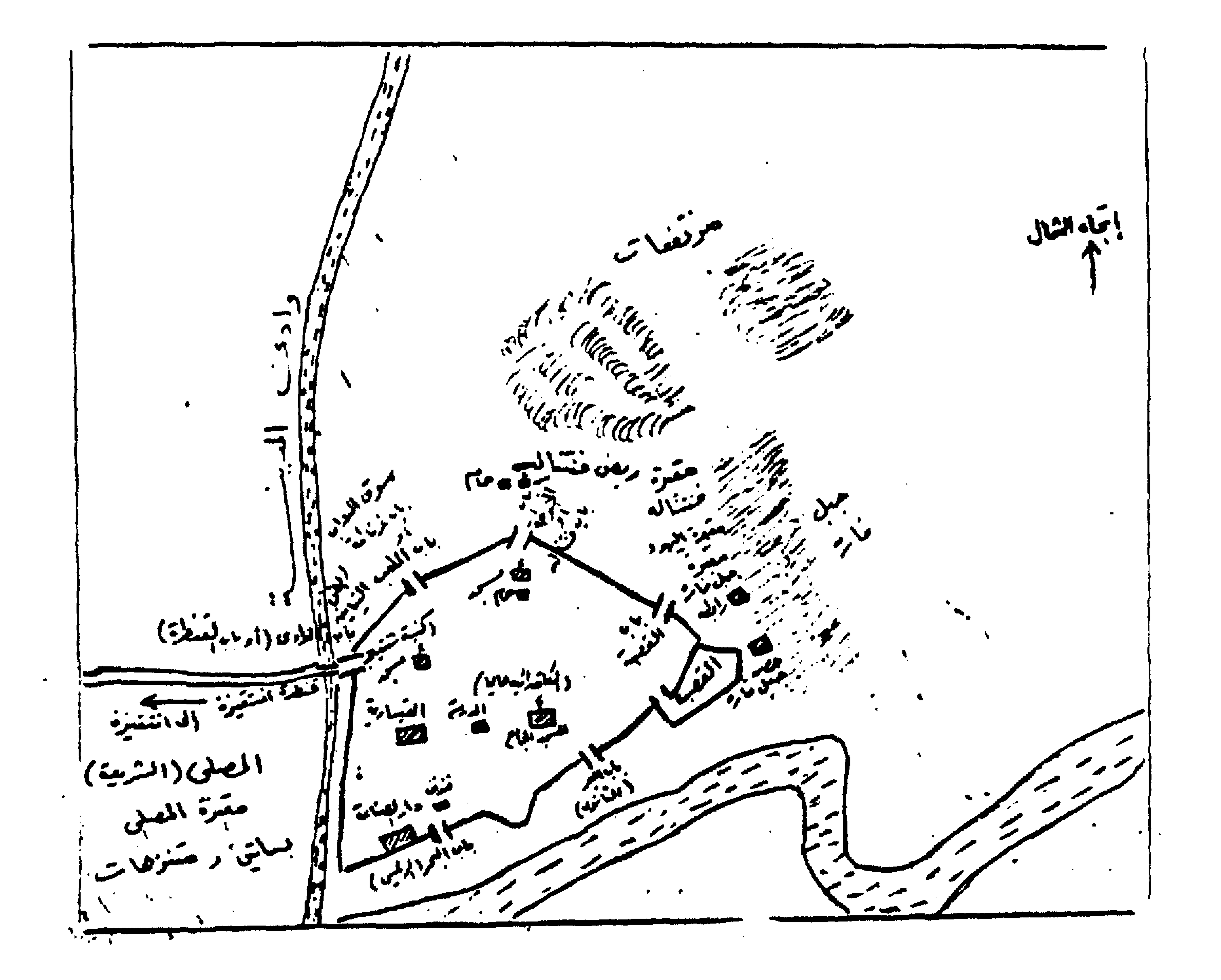
(عن : عبد العزيز سالم . المساجد والقصور)



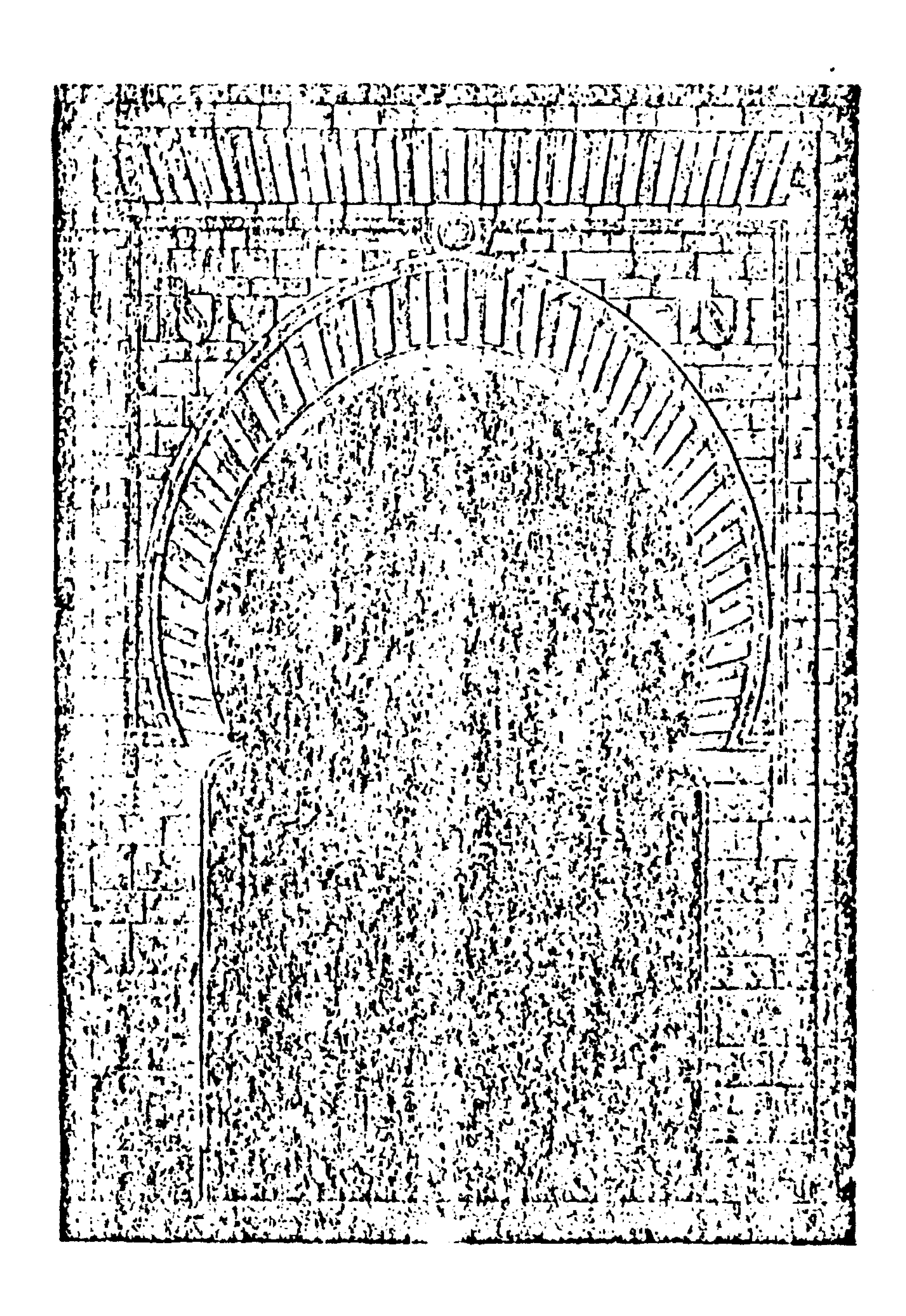
منظر دار صناعة مالقة فى عام ١٨٣٩ م (عن روبلس)

VISTA DE LAS ATARAZANAS

Las Atarazanas de Málaga en 1839



تخطيط مدينة مالقة فى العصر الاسلامى (عن توريس بالباس)



الباب القديم لدار صناعة مالقة (عن روبلس)

مصادر ومراجع البحث

أولا ــ مصادر عربية قديمة :

١ ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

٢ ــ ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، طبعة القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٣ ــ ابن الابار : المقتضب ، تحقيق ابراهيم الإبياري ــ دار الكتاب المصرى ، ١٩٨٢ م .

٤ ــ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، طبعة بيروت ، ١٩٧٨ م .

٥ ــ الادريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق ، طبعة ليدن ، ١٨٩٤ م .

٦ ــ ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٩ م .

٧ ــ ابن بشكوال : الصلة ، مجموعة تراثنا ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٨ ــ ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، تحقيق على الكتانى ، بيروت ، ١٩٨٢ م

٩ ــ ابن حيان المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، وقطعة من المقتبس ، تحقيق عبدالرحمن الحجى ، بيروت ١٩٨٣ م .

١٠ ــ ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

١١ ــ ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ م .

١٢ــابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، دار الكاتب العربى ، القاهرة .
١٣ــابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت ، ١٩٥٦ م .

١٤ ــابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بيروت ، ١٩٦٨ م .
١٥ ــابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٠م.
١٦ ــابن سعد : الطبقات الكبرى ، نشر دار بيروت ، ١٩٨٠ م .
١٧ ــابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف .
١٨ ــابن سهل الأندلسى : وثائق فى شئون العمران فى الأندلس مستخرجة من الأحكام الكبرى ، تحقيق محمد خلاف ، الكويت ١٩٨٣ م .
١٩ ــابن عبدون (وابن عبد الرؤوف والجرسيفى) : ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة نشر ليفى بروفنسال ، المعهد الثقافى الفرنسى ، القاهرة ١٩٥٥ م .
٢٠ ــابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب جـ ٢ ، نشر كولان وليفى بروفنسال ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ.
٢١ ــابن العطار القرطبى : الوثائق والسجلات ، نشر بدروشالميتا وكورنيطى ، مدريد ١٩٨٣ م .
٢٢ ــابن غالب : فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
٢٣ ــالحميدى : جذوة المقتبس ، مجموعة تراثنا ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

٢٤ ــ الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

٢٥ ــ الخشنى : قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة، ١٩٦٦ م .

٢٦ ــ السقطى : كتاب آداب الحسبة نشر كولان وليفى بروفنسال ، باريس ١٩٣١ م .

٢٧ ــ الطرطوشى : الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الطالبى ، تونس ، ١٩٥٩ م .

٢٨ ــ المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق، يوسف البقاعى ، بيروت، ١٩٨٦ م .

٢٩ ــ مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، مدريد ، ١٩٨٣ م .

٣٠ ــ مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ، نشر أويثى ميراندا ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، ٦١ ــ ١٩٦٢م.

٣١ ــ النباهى المالقى : تاريخ قضاة الأندلس ، طبعة بيروت ، ١٩٨٣م.

ثانياً ــ مراجع عربية حديثة ومعربة :

١ ــ أحمد بدر (دكتور) : دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها ، دمشق ١٩٧٢ م .

٢ ــ أحمد شلبى (دكتور) : التعليم والتربية عند المسلمين ، ضمن دراسات فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، مجلد ١ ، القاهرة ١٩٨٥ م .

٣ ــ أحمد عبد الرازق (دكتور) : وسائل التسلية عند المسلمين ، ضمن دراسات فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، مجلد ١ ، القاهرة، ١٩٨٥ م .

٤ ــ أحمد محمد الطوخى (دكتور) : مظاهر الحضارة فى مملكة غرناطة،

رسالة دكتوراه غير منشورة ، نوقشت بآداب الاسكندرية، سنة ١٩٧٨ م .

٥ ـــ أحمد مختار العبادى (دكتور) : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ م .

٦ ـــ « « « « « « « « : الاسلام فى أرض الأندلس ، مجلة عالم الفكر، الكويت ، ١٩٧٩ م .

٧ ـــ حسين مجيب المصرى (دكتور) : أثر الفرس فى حضارة الاسلام ، ضمن دراسات فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، مجلد ١ ، القاهرة ١٩٨٥ م .

٨ ـــ حسين مؤنس (دكتور) : فجر الأندلس ، الدار السعودية للنشر ، ط ٢ ، ١٩٨٥ م .

٩ ـــ حمدى عبد المنعم محمد (دكتور) : مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الأموية ، رسالة دكتوراه غير منشورة، نوقشت بآداب الإسكندرية سنة ١٩٨٤ م .

١٠ ـــ خوليان ريبرا : المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا الاسلامية ، ق ٢ ، ترجمة جمال محرز ، مجلة معهد المخطوطات، جـ١، سنة ١٩٥٩ م .

١١ ـــ خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الأندلس ، ترجمة الطاهر مكى ، دار المعارف ، ١٩٨١ م .

١٢ ـــ سحر سالم (دكتوره) : مظاهر الحضارة فى بطليوس ، رسالة دكتوراه تحت النشر ، نوقشت بآداب الاسكندرية سنة ١٩٨٧ م .

١٣ ـــ سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : الحياة الاجتماعية فى المدينة الاسلامية، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ١٩٨٠ م .

١٤ ـــ السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ م .

١٥ ــ السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، طبعة بيروت ، ١٩٧٢ م .

١٦ ــ » » » » » » » » : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، طبعة بيروت ، ١٩٦٩ م .

١٧ ــ » » » » » » » » : المساجد والقصور ، دار المعارف ، ١٩٥٨ م .

١٨ ــ صلاح خالص (دكتور) : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، طبعة بيروت .

١٩ ــ عبد العزيز الاهوانى (دكتور) : على هامش ديوان ابن قزمان ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، ٧٦ ــ ١٩٧٨ م .

٢٠ ــ » » » » » » » » : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللحمى فى لحن العامة جـ ٢ ، مجلة معهد المخطوطات ١٩٥٧ م .

٢١ ــ فون شاك : الفن العربى فى أسبانيا وصقلية ، ترجمة الطاهر مكى، دار المعارف ، ١٩٨٥ م .

٢٢ ــ كمال أبو مصطفى (دكتور) : مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، نوقشت بآداب الاسكندرية سنة ١٩٨٥ م .

٢٣ ــ » » » » » » » » الاحباس فى الأندلس ، دار نشر الثقافة، الاسكندرية ، ١٩٨٩ م

٢٤ ــ ليوبولدو توريس بالباس : الأبنية الاسبانية الاسلامية ، ترجمة علية الصانى ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، ١٩٥٣ م .

٢٥ ــ » » » » » » » : الفن المرابطى والموحدى ، ترجمة السيد غازى ، دار المعارف ، ١٩٧١ م .

٢٦ ــ ليفي بروفنسال : سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة عبدالهادى شعيره ، مطبوعات جامعة الاسكندرية،١٨٩٥١ م .

٢٧ ــ » » » »: الاسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمى ، نشر مكتبة نهضة مصر .

٢٨ ــ مانويل جومث مورينو : الفن الاسلامى فى أسبانيا ، ترجمة عبد العزيز سالم ولطفى عبد البديع ، نشر الهيئة العامة للكتاب .

٢٩ ــ مانويل كاسامار : حول الآثار المالقية ، ترجمة حسين مؤنس ، ضمن بحوث الدورة الخامسة للجلسات الأندلسية ، مالقة،١٩٦٦ م .

٣٠ ــ محمد أبو الفضل (دكتور) : تاريخ مدينة المرية الأندلسية ، الهيئة العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ م .

٣١ ــ محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

ثالثاً المراجع الأجنبية :

1. Abdel-Aziz Salem, centros de la ceramica, Revista Awraq, Madrid, 1984.
2. Aguado Bleye, Manual de Historia de España, Madrid, 1947.
3. Ben Aboud, Asabiyya & Social relations in al. Andalus, Hesperis, Fasc 1, vol , XIX.
§. Derek Latham, Some observations on the bread trade in Muslim Malaga, Journal of semetic studies, vol, XXIX, 1984.
5. Fernando De la Granja, Fiestas cristianas en al, Andalus, Revista al-Andalus,XXXIV, 1969.
6. Huici Miranda, Historia musulmana de Valencia y su region, Valencia, 1969.
7 José Enrique lopez, Los reinos de taifos, en historia de Andalucia vol. II, Madrid
8 Levi provencal, Histoire de l'Espagne musulmane, t. III, Paris, 1967
9 » » » » » » , Inscriptions arabes d'Espagne, Paris, 1931
10. » » » », Art., Malaga, Ency., of Islam, vol. III, Leiden, 1913.
1 Prieto y Vives, Los reyes de Taifas, Madrid, 1926.
12. Seco de lucena, los Hammudies senores de Malaga y Algeciras, Granada, 1953.
13. Torres Balbas, ciudades Hispano. Musulmanas, Madrid.
14. » » » », Los Alhondigas Hisp , Musulmana, al-Andalus, 1946.
15. » » » »., Zocos y tiendas de las ciudades Hisp., Musulmana, Al-Andalus, XII, 1947.
16. Robles, Malaga musulmana, Malaga, 1957.
17. Rui y Vallvé, Excavaciones en los montes de Malaga, en Revista del instituto egipcio, Madrid, 1976.

فهرس المحتويات

الفصل الثانى

رقم الايداع ٣٦٤٦ / ١٩٩٠
الترقيم الدولى : I. S. B N. 977 - 00 - 0078 - 7

مطبعة الانتصار
لطباعة الأوفست
كوم الدكة خلف شركة مياه الإسكندرية
ت: ٤٩١٦٥٩٧
محمد صبري




غلاف
مطبعة الانتصار
ELENTSAR PRESS
١٠ شارع الوردى . كوم الدكة . ت ٤٩١٦٥٩٧ اسكندرية